جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

تنوع أساليب تصحيح المفاهيم الاجتماعية في البيان النبوي دراسة بلاغية موازنة

Diversity of Methods for Correcting Social Concepts in the Prophet's Statement A Balancing rhetorical study

إعداد

د. نجلاء محمود حسين أحمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد في كلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثاني-مايو)
(الجزء الثالث (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

تنوع أساليب تصحيح المفاهيم الاجتماعية في البيان النبوي دراسة بلاغية موازنة

نجلاء محمود حسين أحمد

قسم البلاغة والنقد، كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإليكتروني: naglaamahmoud.8719@azhar.edue.eg

الملخص

هدف البحث إلى بيان أساليب النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة في تصحيح المفاهيم الاجتماعية الخاطئة التي كانت سائدة بين القوم آنذاك، والراسخة في أذهانهم بأسلوبه صلى الله عليه وسلم المفعم بالبيان القائم على التناسب بين جوابهم، القائم على العادة والعرف، وجوابه صلى الله عليه وسلم القائم على ما يناقض مفهومهم، مع بيان المفارقة بين التلطف واللين تارة والتشدد تارة أخرى؛ ولذا اشتمل البحث على ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث وقد جاءت المباحث على النحو التالي: المبحث الأول: أساليب التمهيد النبوي لتغيير المفاهيم الاجتماعية بين التنوع والاتحاد. المبحث الثاني: موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي القديم. المبحث الثالث: موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي الجديد. وخلص البحث إلى أن لكل حديث خاصية في التمهيد والتوطئة ، ثم في تعقيب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بالتوجيه الكافي السديد الذي اعتمد فيه الحجاج القائم على الإقناع والإمتاع معًا حتى يثقف قلوبهم ويقنع عقولهم.

الكلمات المفتاحية : أساليب، تصحيح، المفاهيم الاجتماعية، البيان النبوي، موازنة.

Diversity of Methods for Correcting Social Concepts in the Prophet's Statement A Balancing rhetorical study

Naglaa Mahmoud Hussein Ahmed
Department of Rhetoric and Criticism, Islamic Girls College in Assiut, Al-Azhar University, Egypt.

E-mail: *naglaamahmoud.8719@azhar.edue.eg*

Abstract:

The aim of the research is to explain the special methods of the Prophet, may God bless him and grant him peace, in correcting the wrong social concepts that were prevalent among the people at that time, and which were deeply rooted in their minds, in his style, may God bless him and grant him peace, full of clarification based on proportionality between their answer, which was based on habit and custom, and his answer, may God bless him and grant him peace, which was based on On what contradicts their concept, while explaining the paradox between kindness and leniency at times and strictness at other times; Therefore, the research included three sections, preceded by an introduction and preface, followed by a conclusion and an index of the research sources. The sections were as follows:The first topic: methods of prophetic introduction to changing social concepts between diversity and unity The second topic: a balance between methods of expressing the ancient social concept. The third topic: a balance between methods of expressing the new social concept. The research concluded that every hadith has a characteristic of introduction and foregrounding, and then in the Prophet's (may God's prayers and peace be upon him) commentary on that with adequate and sound guidance, which the pilgrims relied on, based on both persuasion and entertainment in order to educate their hearts and convince their minds.

Keywords: ***Methods, Revision, Social Concepts, Prophetic Statement, Stabilizer.***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله و أصحابه الميامين صلاة دائمة إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من الأسس التي قامت عليها الرسالة المحمدية أنها جاءت لتغيير المفاهيم التي كانت تسود في تلك الفترة التي يعمها الكفر والظلام ؛ فجاءت لتنقل الناس من الشرك والكفر إلى التوحيد والإيمان ، وتنقلهم من العادات الاجتماعية السائدة في مجتمعاتهم كالفتوة والمفاخرة بالأنساب والقتل وحب الخمر وغير ذلك إلى عادات اجتماعية سليمة يرتضيها الإسلام.

ومن ثمّ جاء تصحيح تلك المفاهيم في البيان النبوي بمنهج لطيف سلكه معهم صلى الله عليه وسلم ليعلمهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح بلطف الكلمة، وجمال العبارة، ودقة التركيب، ووضوح الفكرة، وروعة الأسلوب القائم على الاستفهام؛ لينبه عقولهم، ويستثير أفكارهم، ويستنطقهم حتى إذا جاء الجواب منه صلى الله عليه وسلم استقر في نفوسهم ، واطمأنوا به واقتنعوا بما يحويه.

ولذا اخترت أن يكون موضوع بحثي:

تنوع أساليب تصحيح المفاهيم الاجتماعية في البيان النبوي

دراسة بلاغية موازنة

ويرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور منها:

١ ـ إن تغيير المفاهيم يحتاج إلى بلاغة خاصة؛ لخصوصية الحال التي عليها المتلقي، ومن ثمّ كانت بحاجة إلى التلطف في تغيير المفهوم القديم الخطأ ونقله

إلى المفهوم الجديد الصحيح، ووسائل التلطف كانت شائعة في البيان النبوي في هذا السياق.

٢ . بيان وسائل النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة في نقل الناس من المفاهيم القديمة إلى المفاهيم الجديدة سواء بالإقناع الذي يجعل المفهوم الجديد مقنع لا يتصادم مع الواقع، ولا يخالف ما هم عليه، أو بالمقابلة بين المفهوم القديم والمفهوم الجديد، أو بالتناسق بين عناصر المفهوم الجديد، وغير ذلك، كل هذا حري به أن يدرس.

أما عن منهجي في البحث :

فقد اتبعت المنهج الوصفي القائم على التحليل والموازنة، وذلك بجمع الأحاديث التي صحح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم المفهوم الخطأ سواء كانوا يعيشونه أو يعتقدونه، ثم تحليل النص الذي يبدأ ببيان كيفية التوطئة للتصحيح، ثم أساليب التوطئة البلاغية، ثم أساليب تقريرهم بما هم عليه، ثم الاستبدال بما هو خارج عن مفهومهم عليه، مع تحليل المفردات الرئيسة، وبيان بلاغة التراكيب، والتناسب بين المفردة والتركيب، ومن ثمّ فقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث ومقدمة وتمهيد، ويعقبها خاتمة وفهرس لمصادر البحث، وقد جاء كالآتي:

المقدمة: تكلمت فيها عن أهمية الموضوع و أسباب اختياري له، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد: وجاء على محورين:

المحور الأول: بعنوان الخصوصية البيانية لأساليب التعليم النبوي للمفاهيم الجديدة

المحور الثاني: بعنوان المفاهيم الاجتماعية : ضابطها ومستلزماتها

المبحث الأول: بعنوان أساليب التمهيد النبوي لتغيير المفاهيم الاجتماعية بين التنوع

والاتحاد.

المبحث الثاني: بعنوان موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي القديم.

المبحث الثالث: بعنوان موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي الجديد.

الخاتمة: وتناولت فيها نتائج البحث والتوصيات.

وأخيراً **فهرس** المصادر والمراجع.

هذا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

التمهيد

١- الخصوصية البيانية لأساليب التعليم النبوي للمفاهيم الجديدة

الأسلوب في اللغة كلمة تدور حول المذهب والطريق والقصد، قال ابن منظور: "يُقَالُ للسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلوبٌ. وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوبٌ . قَالَ: والأُسْلوبُ الطَّرِيقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ؛ يُقَالُ: أَنتم فِي أُسْلُوبِ سُوءٍ، ويُجمَعُ أَسالِيبَ. والأُسْلُوبُ: الطريقُ تأْخذ فِيهِ. والأُسْلوبُ بِالضَّمِّ: الفَنُّ؛ يُقَالُ: أَخَذ فلانٌ فِي أَسالِيبَ مِنَ الْقَوْلِ أَي أَفانِينَ مِنْهُ "(١).

وقد عرف الأسلوب الكثيرون من النقاد قديمًا وحديثًا ، قال حازم القرطاجني:" الأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية"(٢) .

وفي النقد الحديث يقرر البعض أن الأسلوب هو: الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني، أو نظم الكلام وتأليفه لتأدية الأفكار وعرض الخيال، ولا ينبغي أن يتصور الأسلوب من غير العناصر الأدبية وهي: الأفكار، والصور الجزئية، والعبارة، والإيقاع، والعاطفة (٣).

---

(١) لسان العرب ج ١ ص١٧٣ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ـ الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ـ الناشر: دار صادر – بيروت ـ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ٣ ص٢٩٦-٢٩٧.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ص١١٦لأبي حازم القرطاجني توفى (٦٨٤هـ) تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ـ دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان.

(٣) ينظر: الأسلوب المؤلف: أحمد الشايب ص ٤٦ الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة ٢٠٠٣م.

فالأسلوب طريقة ينتهجها المتكلم تمكنه من التعبير عن مشاعره وأفكاره وهذه الطريقة يتفرد بها وتميزه عن غيره؛ فالأسلوب هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور، وفي نقل هذا التفكير وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة، و الأسلوب يكون جيدًا بحسب درجة نجاحه في نقل ذلك إلى الآخرين.... الأسلوب خاصية فردية(١).

وإذا كان لكل فرد طريقته الخاصة في التعبير، هذه الطريقة التي تسمى الأسلوب والتي يتميز بها قائل عن آخر، فللنبي صلى الله عليه وسلم أسلوبه الذي يتفرد به عن البشرية جمعاء؛ فكلام النبي صلى الله عليه وسلم في الذروة من البلاغة والفصاحة، كلامه لا يضاهيه كلام بشر، له خصوصيته التى لا تبارى، "إن بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم – من صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه عن قياسه، فنحن لا ندرك كنهه، وإنما ندرك أثره، ونحن لا نعلم إنشاءه، وإنما نعلم خبره"(٢) ولذا عندما نتكلم عن خصوصية أساليبه صلى الله عليه وسلم في التعليم يجب أن ندرك جيدًا أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم حريص على تألف الناس للدخول في الإسلام، فإنّه كان أشد حرصًا على تعليم من أسلم منهم بالرفق واللين في حالة حدوث تصرفات من بعضهم بسبب جهلهم بتعاليم الإسلام أو لقربهم من العهد الجاهلي وعاداته السيئة(٣).

---

(١) ينظر: الأدب وفنونه – دراسة ونقد المؤلف: عز الدين إسماعيل (ت ١٤٢٨هـ) . الناشر: دار الفكر العربي.

(٢) وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص ج٣ص١٠٥. المؤلف أحمد حسن الزيات – الطبعة الخامسة ١٣٨٤-١٩٦٤-ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر ب الفجالة – مطبعة الرسالة .

(٣) أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين ص٢٨ المؤلف: محمد بن محمد العواجي . الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

فكان صلى الله عليه وسلم ينتهج في أساليبه في التعليم منهج الرفق واللين والتلطف إلى جانب أسلوب الجذب والبعد عن التنفير فيجعل كل من يسمعه يقبل عليه ويستمع لكلامه ويذعن لأوامره.

ومن ثمّ فأول خصوصية تتمثل في التمهيد والتوطئة لكلامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل إلى المتلقي دخول المأنوس به ..

ثم تأتي الخاصية الثانية له في الإتيان بالحجة العقلية لإقناع المخاطب بعد التمهيد له والإيناس فيكون في الإقناع تثقيف للقلب ومحبة تزيد عن القبول المجرد.

ثم نجد من الظواهر العامة أنه يخاطب الوجدان من غير استكراه للألفاظ، أو تكلف في المعاني، وأن قوله يجري سهلاً طيبًا قيّمًا! ونجد أن كلامه بديع في ذاته من غير صناعة، وجميل في نسق محكم .. ولهذا أثره البالغ في الدعوة [١] فأسلوبه العظيم صلى الله عليه وسلم هو الذي جعل الناس يلتفون حوله ويستمعون إلى تعاليمه، فكلامه يدخل قلوبهم قبل عقولهم فيهز وجدانهم، ويجعلهم ينساقون لتعاليمه.

"لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم"[٢].

---

(١) الجامع الصحيح للسيرة النبوية ج٢ ص ٥٢١ بتصرف. المؤلف: الأستاذ الدكتور سعد المرصفي . الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢) البيان والتبيين ج٢ ص١٤ المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ .

وتلك الخاصية استمدها من القرآن الكريم، فهذه الأساليب لا يجهل سَلَاسَةَ طَبْعِها، وَبَرَاعَةَ مَنْزِعِها، وَإِيجَاز مَقْطَعِها، وَنَصَاعَةَ لَفْظِها، وَجَزَالَةَ قَوْلِها، وَصِحَّةَ مَعَانِيها، وَقِلَّةَ تَكَلُّفِها أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخُصَّ بِبَدَائِعِ الْحِكَمِ وَعُلِّمَ أَلْسِنَةَ الْعَرَبِ فَكَانَ يُخَاطِبُ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهَا بِلِسَانِهَا وَيُحاوِرُهَا بِلُغَتِهَا وَيُبَارِيهَا فِي مَنْزَعِ بَلَاغَتِهَا(١).

فأسلوبه صلى الله عليه وسلم في التعليم جعلهم يكتسبون أخلاقًا جديدة، ويعتنقون أفكارًا تعيد هيكلة مجتمعاتهم، وتخلصهم من العادات السيئة والأفكار القديمة التي كانت تسيطر عليهم؛ حتى اصطبغت عقولهم بالصبغة الإسلامية التي تعيد الحياة إلى نصابها، الحياة الإسلامية في أبهى صورها.

وأساس ذلك كله أنه صلى الله عليه وسلم يراعي مقام كل مخاطب عند تصحيحه للمفاهيم فخطاب الصبي غير خطاب الكبير، وخطاب الرجل غير خطاب المرأة، وخطاب المؤمن وخطاب غيره ...

وهذا أساس رئيس في خصوصية خطابه صلى الله عليه وسلم في تغيير المفاهيم ؛ ذلك أن "المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"(٢).

وقد تكلم السكاكي عن التفاوت في المقامات فوضح كيف يكون هناك تفاوت في المقامات فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٧٠ بتصرف مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء . المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

(٢) البيان والتبيين ج١ ص١٢٩.

المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداءً يغاير مقام الكلام بناءً على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، كما وضح أن مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. وكذلك لكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال[١].

كما وضح ابن طباطبا أنه ينبغي تجنب الإشَارَاتِ البَعيدة، والحكاياتِ الغَلِقَة، والإيَماء المُشْكِل، ويتعَمَّد مَا خالَف ذَلِك، ووضح أن المتكلم إذا أراد استخدام المجاز يَسْتَعْمِل من المَجَازِ مَا يُقَارب الحَقيقَة وَلَا يُبْعُدُ عَنْهَا، وَكذلك اذا أراد استخدام الاستعارات يستخدم منها مَا يليقُ بالمعاني الَّتِي يَأْتِي بِهَا [٢] فإذا راعى المتكلم ذلك أصبح كلامه بليغًا يدخل إلى قلب السامع مباشرة دون الحاجة إلى الشرح والتوضيح ومن هنا قيل: البلاغة في الكلام : مطابقته لمقتضى الحال، مع فصاحته[٣].

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم ص ١٦٨ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) . ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان . الطبعة: الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢) عيار الشعر ص ١٩٩-٢٠٠ بتصرف . المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ) . المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع . كلية الآداب جامعة الملك سعود .دارالعلوم للطباعة والنشر ١٤٠٥-١٩٨٥م- الرياض-المملكة العربية السعودية .

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص٩٠ . المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ) المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي . الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

ورسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم هو خير من يطابق كلامه مقتضى الحال، ويراعي المقام في كل أقواله وأفعاله فـ"كان يعطي لكل حالة ما يناسبها ، ومن ثم فإن كلامه يتسم بالإلهام والإبداع والعبقريّة الفذّة، ويمتاز بالجزالة والجلالة والسبك! وتلك هي بلاغة الإلهام والفيض، تكشف الحجب بنور الحق، وترسل الكلمة من فيض الخاطر، وعفو البديهة، فتكون حكمة الحاضر ونبوة المستقبل"[1] .

ولذا كان كلامه صلى الله عليه وسلم يلقى قبولًا عجيبًا لدى السامع؛ لما له من قدرة فائقة على التأثير؛ لأنه ناسب حالته، فينير له طريقه ويرسم له هدفه، ويصحح له خطأه؛ فينفذ إلى قلبه، ويستقر في أعماق نفسه كما سيتضح في تحليل بلاغة أحاديث تصحيح المفاهيم.

(١) الجامع الصحيح للسيرة النبوية ج٢ ص٥٢١.

٢- المفاهيم الاجتماعية: ضابطها ومستلزماتها

المفاهيم جمع مفهوم اسم مفعول من فهِمَ .الْفَاءُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ عِلْمُ الشَّيْءِ. والفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ .... وفَهِمْت الشَّيْءَ :عَقَلْتُه وعرَفْته.

والمفهوم: معنى، فِكْرة عامة، مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كُلِّيّ ... مفهوم الشَّيء... شيء يُفهم فقط من خلال العقل وليس بالحواسّ(١).

فإذا عرفت الشيء بعقلك ووعيته بقلبك فهذا هو المفهوم.

والمجتمع مشتق من مادة جمع والْجِيمُ وَالْمِيمُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى تَضَامِّ الشَّيْءِ. يُقَالُ: جَمَعْتُ الشَّيْءَ جَمْعًا... وَيُقَالُ فَلَاةٌ مُجْمِعَةٌ: يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهَا وَلَا يَتَفَرَّقُونَ خَوْفَ الضَّلَالِ(٢).

وجاء في اللسان " جمع :جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعًا وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع واجْدَمَعَ، وَهِيَ مُضَارَعَةٌ، وَكَذَلِكَ تجمَّع واسْتجمع . وَالْمَجْمُوعُ: الَّذِي جُمع مِنْ هاهنا وهاهنا وإِن لَمْ يُجْعَلْ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ. واسْتجمع السيلُ: اجْتَمَعَ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ. وجمَعْتُ الشَّيْءَ إِذا جِئْتَ بِهِ من هاهنا وهاهنا. وتجمَّع الْقَوْمُ: اجْتَمَعُوا أَيضًا من هاهنا وهاهنا. ومُتجمَّع البَيْداءِ: مُعْظَمُها ومُحْتَفَلُها"(٣).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ج٤ ص٤٥٧ المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكرعام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. و لسان العرب ج١٢ ص١٠٦ و معجم اللغة العربية المعاصرة ج٣ ص ٧٤٩ المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل ـ الناشر: عالم الكتب ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة ج١ ص١٧٩-١٨٠.

(٣) لسان العرب ج٨ ص ٥٣.

"والجماعة الإنسانية :عدد من الأفراد تربط بينهم رابطة أو أكثر. بنمو عدد الأفراد، وتطور حاجياتهم يستقرون في مكان، ويتضاعف تعاونهم الاضطراري في توفير الضرورات، والاختياري في تحقيق المصالح المشتركة"(١).

إذن المفاهيم الاجتماعية هي مجموعة الصفات والخصائص المعروفة لدى مجتمع معين.

ولا ريب أن مدى رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وهدفها هو القضاء على الجاهلية في كل اتجاهاتها وفي كل أمكنتها وأزمنتها(٢).

ومن ثم بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بترسيخ مفاهيم جديدة لهذا المجتمع الجديد عن طريق تغيير المفاهيم الاجتماعية القديمة التي كانت راسخة في عقولهم برفق ولين.

ولا شك أن العادات تتحكم في الإنسان ويصعب عليه التخلص منها واكتساب عادات وصفات جديدة ... لكن ما ولده الإسلام في أنفسهم من إيمان عميق مكنهم من الانخلاع من الشخصية الجاهلية بكل ملامحها واكتساب الشخصية الإسلامية بكل مقوماتها (٣).

---

(١) المجتمع والأسرة في الإسلام ص١٣ المؤلف: محمد طاهر الجوابي ـ الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها ص ٥٥٩ بتصرف. المؤلف: دكتور رؤوف شلبي ـ الناشر: دار القلم ـ الطبعة: الثالثة.

(٣) السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ ج١من ص ١٣٢:١٣٤ بتصرف المؤلف: د. أكرم ضياء العمري ـ الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة: السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

وقد كانت هناك عادات كثيرة منتشرة في هذا المجتمع، ومن العادات ما يكون حسنًا ومنها ما هو سيئ... وتكوين العادة الحسنة من مهامها الأساسية محاولة إزالة هذه العادات السيئة ثم إحلال عادات حسنة محلها يتمثل فيها أدب الإسلام وأخلاقه وحسن الأدب في المعاملة.

وتكوين العادة الحسنة هو مجال عملي تطبيقي يؤخذ بالممارسة والتدرج والالتزام المستمر حتى يصير مع مرور الزمن سهلا ميسورا أداؤه على الأفراد دون كلفة أو مشقة. فيكون فيه اتباع السنة وترك البدعة وسهولة الأداء والطواعية[1].

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ بتصحيح المفاهيم الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك، بأسلوبه الميسر، والبيان الذي لا يعلوه بيان، وبوسائل التعليم الجاذبة التي تجعل المتلقي يستمع ويذعن لما يسمعه، فينتهج هذا الطريق الواضح الذي يقوده إلى تغيير فكره، وفهمه الخطأ إلى المفهوم الجديد الصحيح .

وهذا ما سنراه من خلال هذا البحث الذي يحتوي على تصحيح المفاهيم الاجتماعية في البيان النبوي، ويشتمل على أربعة أحاديث.

---

(١) ينظر حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث . ص ٩٩-١٠٠تأليف الدكتور: عبد الله بن محمد العجلان الرياض ١٣٠٩هـ - ١٩٨٩م - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

شواهد البيان النبوي لتغيير المفاهيم الاجتماعية

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ(١).

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ (وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ) قَالَا: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ(٢).

---

(١) صحيح مسلم ج٨ ص١٨ المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري . المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري – محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي – أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي . الناشر: دار الطباعة العامرة – تركيا عام النشر: ١٣٣٤ هـ.

(٢) السابق ج٨ ص٣٠

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا . قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أن يشفع، وإن قال أن يسمع . قَالَ : ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا : حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يسمع . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا(١).

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ وَاصِلٍ الْأَحْدَبِ، عَنْ الْمَعْرُورِ قَالَ : لَقِيتُ أبا ذر بالربذة، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ : إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم(٢).

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص ٩٥٨ . المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي . المحقق: د. مصطفى ديب البغى . الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) دمشق . الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص٢٠

المبحث الأول

أساليب التمهيد النبوي لتغيير المفاهيم الاجتماعية بين التنوع والاتحاد

الناظر في هذه الأحاديث الأربعة يجد أنها جاءت لتصحيح مفاهيم اجتماعية خاطئة ، اطرد فيها التوطئة للخطأ منه صلى الله عليه وسلم بالاستفهام حتى يكون الخطأ على لسان القوم في الإجابة على هذا التساؤل ، فينقلهم صلى الله عليه وسلم من المفهوم الخطأ إلى المفهوم الصحيح بأسلوبه صلى الله عليه وسلم القائم على التناسب بين جوابهم القائم على العادة والعرف ، وجواب النبي صلى الله عليه وسلم القائم على ما يناقض مفهومهم، ومن ثمّ مشاركتهم وتفاعلهم في التغيير المطلوب.

فهذه الأحاديث اشتركت جميعها في التمهيد والتوطئة بأسلوب الاستفهام لتقرير المخاطبين بما في اعتقادهم وأنفسهم تجاه تلك المفاهيم الاجتماعية الأربعة: المفلس والرقوب والوجاهة الاجتماعية واللون كناية عن الحسب، ثم تصحيح ما في أنفسهم بأسلوب مقنع.

حيث جاء الاستفهام في الحديث الأول : أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟، وفي الثاني: مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟، وفي الثالث: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟، وفي الرابع: أعيرته بأمه؟

وهي جميعها للتقرير حيث أريد تقريرهم بحقيقة المفاهيم الاجتماعية التي يراد تغييرها لديهم ؛ إما لحملهم على الإقرار بما هو مقرر في نفوسهم توكيدًا لما سيأتي من التغيير لها كما في المواضع الثلاثة الأولى، أو إنكارًا عليهم وتوبيخًا لهم إن بقيت فيهم تلك المفاهيم كما في الموضع الرابع .هذا أولًا

ثم إنها جميعها قد تصدرت الحوار وافتتح بها النبي صلى الله عليه وسلم كلامه معهم ليكون هذا الاستفهام المطرد استثارة للعقول وتهييجًا للنفوس أن تتوثب لما سيأتي بعد؛ إذ لازم الاستفهام في جميعها هو المراد، وليس التوقف عنده بأدنى تأمل.

ثم إن هذا الاستفهام في المواضع الأربعة قد جاء في بنية مركزة وقد اكتنزت من المعاني والدلالات الكثير، فهو في جميعها لم يتجاوز الجملة الواحدة؛ حصرًا للغرض؛ ومنعًا لتشتيت الذهن.

ذلك أن القصد إلى ما سيأتي بعد من التغيير، ومن ثمّ فلم يطنب صلى الله عليه وسلم في سؤالهم عن المفهوم القديم، فضلًا عن كونه مقررًا عندهم ومعروفًا لديهم فلا حاجة إلى قيود تعرفهم به.

وهو وإن اتحد في جميعها في ذلك إلا أنه اختلف في بنيته في كل موضع لاختلاف المفهوم ومرتبة وضعه فيهم .على ما سترى.

ففي الحديث الأول: نجد الاستفهام بقوله: (أتدرون ما المفلس) فالاستفهام هنا تقرير لهم ابتداء، وتمهيد وتوطئة لإفادة معنى جديد، فهو للاستعلام الذي يراد به الإخبار؛ لأن المستفهم تارة يستفهم عن جهل ولا يدري فيسأل غيره، وتارة يستفهم لتنبيه المخاطب لما يلقى إليه، أو لتقرير الحكم... في هذا الحديث سيخبر الصحابة عن أمر لا يعلمونه، أو لا يعلمون مراد النبي صلى الله عليه وسلم به[1] فيستلزم تقريرهم بالمفهوم الأول ابتداء.

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يبدأ ببيان حقيقة المفلس مباشرة، ولكنه آثر الاستفهام؛ لأن الاستفهام من الأساليب البلاغية التي لها خصوصية لفت الانتباه، وإيقاظ نشاط السامع وتشويقه، كما أن طريقة السؤال فيها محاورة هذا يسأل وهذا يجيب فيكون هناك تفاعل في الحوار، هذا التفاعل قد لا يوجد إذا ألقى عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الكلام وأعلمهم بما يريد بطريقة مباشرة، ومن ناحية أخرى هو

---

(١) ينظر شرح رياض الصالحين ج٢ص ٥٢٨ المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

يريد أن يعلم ما تنطوي عليه نفوسهم قبل أن يبدأ بإعلامهم بحقيقة الأمر، ولذا عبر الرسول صلى الله عليه وسلم بالفعل (تدرون) دون (أتعلمون)؛ لأن الدراية "هي علم فيه احتيال وخداع"[1] ، فكان عليهم أن يتريثوا ويتمهلوا قيل أن يجيبوا، ولينبههم من طرف خفي إلى أن مفهومهم فيه مخاتلة وخداع تمهيدًا لتغيير ذلك عندهم.

ثم قال: (ما المفلس) و(ما) يكون السؤال بها لغير العاقل ، فهل سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الإفلاس؟ أم عن شخص المفلس؟ ولكن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ عند الإجابة ذكروا أوصاف الشخص المفلس بدليل قولهم: (المفلس فينا كذا وكذا ...) ، إذن الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل عن وصف بشر حقيقيين يعيشون بيننا، والإجابة: إن هذا الرجل المفلس لما أفلس اجتماعيًا صار غير عاقل، وهذا فيه سخرية منه ابتداء، وإن إدخاله في غير العاقل في المفهوم الجديد أولى، إما لأنه لم يقدر العواقب، وإما لأنه لم يدرك ما يفعله ، فيهدم ما يبنيه، من واقع تقبيح صورته يجعل المخاطب لا يتقبله ولا يستسيغه فيحقق المطلوب منه وهو المفهوم الجديد، ويحتمل أن تكون(ما)هنا للسؤال عن صفات العاقل كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] أي صفته.

يقول السكاكي: "ولكون ما للسؤال عن الجنس وللسؤال عن الوصف وقع بين فرعون وبين موسى ما وقع؛ لأن فرعون حين كان جاهلًا بالله معتقدًا أن لا موجود مستقلا بنفسه سوى أجناس الأجسام اعتقاد كل جاهل لا نظر له، ثم سمع موسى قال أنا رسول رب العالمين سأل بما عن الجنس سؤال مثله فقال: وما رب العالمين كأنه

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ج٢ ص:٥٤٢ المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ت ١٠٥٧هـ . اعتنى بها: خليل مأمون شيحا . الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٢) الشعراء آية ٢٣.

قال: أي أجناس الأجسام هو، وحين كان موسى عالمًا بالله أجاب عن الوصف تنبيهًا على النظر المؤدي على العلم بحقيقته الممتازة عن حقائق الممكنات فلما لم يتطابق السؤال والجواب عند فرعون الجاهل عجب من حوله من جماعة الجهلة، فقال لهم: ألا تستمعون، ثم استهزأ بموسى وجننه فقال ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ﴾ [١] "[٢].

ومن ثم يكون الاستفهام هنا لتحديد ماهية المستفهم عنه من خلال صفاته المعروفة لديهم.

وفي رواية أخرى للحديث (أتدرون من المفلس)[٣]، و الرواية الأولى أوقع لما ذكر؛ ولأنه يتناسب مع المفهوم الجديد الذي سيبينه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، ولكن في الرواية الثانية دلالة العقل والفهم الذي يجب أن يحجزه عن الإفلاس، ويمنعه من أسبابه، فإذا لم يمتنع عنه كان أقرب إلى غير العاقل، فكانت الرواية الثانية حينئذ أحق به، وبهذا التأويل يجمع بين الروايتين.

ويستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في تصحيح المفاهيم الاجتماعية التي كانت سائدة بين القوم آنذاك، فعلى غرار الحديث السابق يأتي الحديث التالي؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم مازال يعلم الصحابة عن طريق السؤال حتى يستنطقهم

---

(١) الشعراء أية ٢٧.

(٢) مفتاح العلوم ص ٣١٠.

(٣) سنن الترمذي ج ٤ص ٦١٣ المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر جـ ١، ٢ ومحمد فؤاد عبد الباقي جـ ٣ وإبراهيم عطوة عوض جـ ٤،٥ . الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

ويأخذ منهم الإجابة التي سيبني عليها تصحيح المفهوم، حتى يحفزهم ويستثير هممهم ، وإن كان بدأ بالاستفهام كما في الحديث السابق إلا أن الجملة الاستفهامية هنا مختلفة عن السابق لاختلاف المخاطبين، ولاختلاف المستفهم عنه، وأيضًا في درجة التبيين في العادة الاجتماعية، فحقيقة المفلس كانت متمكنة أكثر عندهم.

ففي الحديث الأول كان الاستفهام بالهمزة وعن الدراية، أما الاستفهام هنا بـ (ما تعدون) وذلك في قوله : (مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟) والسؤال هنا بـ (ما) أيضا كالحديث السابق، ففي السابق كان يسأل عن الحقيقة المجردة وعن الدراية ، أما هنا فهو صلى الله عليه وسلم يسأل عن ما في مفهومهم عن (الرقوب) وماهيته التي يعرف بها.

فقال: (ما تعدون الرقوب فيكم) يعني "ما تعدّون وتعتقدون وتحسبون وتظنون أنه الرّقوب فيكم يعني ما علمكم واعتقادكم في معنى الرّقوب" [1] وعبر صلى الله عليه وسلم بلفظ (تعدون) ولم يقل: (تدرون) كالحديث السابق، أو أي لفظ آخر؛ لأن (تعدون) فيها معنى الإحصاء والاحتساب والجمع، والكثرة[2] فهو صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لهم: إن هذه الكلمة المسؤول عنها لها معانٍ كثيرة، فتريثوا قبل أن تجيبوا، حتى تعطوني المعنى المطلوب والأحق أن يطلق عليه هذا اللفظ.

---

(١) شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٢٤ ص١٢٤ جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي – مكة المكرمة ـ الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

(٢) ينظر لسان العرب ج٣ ص ٢٨٢.

(الرقوب): وَهُوَ الحافظُ الَّذِي لَا يَغيبُ عَنْهُ شيءٌ؛... وارْتَقَبَه : انْتَظَرَه ورَصَدَه . والتَّرَقُّبُ : الِانْتِظَارُ، وَكَذَلِكَ الارْتِقابُ والرَّقُوبُ مِنَ الإِبل والنِّساءِ : الَّتِي لَا يَبْقَى لَهَا وَلَدٌ.... قَالَ أَبو عُبَيْدٍ: وَكَذَلِكَ مَعْنَاهُ فِي كلامِهِم، إنما هُوَ عَلى فَقْدِ الأَوْلادِ [١] .

ثم قال (فيكم) مع أنه صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق عندما سأل عن المفلس لم يقل: (أتدرون ما المفلس فيكم) بل قال: (أتدرون ما المفلس) فقط؛ لأن التعبير الأول أراد به التفصيل؛ لأن الأمر متعلق بالآخرة، خلاف الرقوب فهو أمر واقع عندهم، وربما قال فيكم هنا ليعلمهم أنه يعرف أنهم سيجيبون بما هو منتشر بينهم وفيهم، وهو يريد أن يصحح لهم هذا الذي شاع فيهم من المفهوم الخطأ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يعلمهم أنه لا يريد المعنى اللغوي المعروف للكلمة، فهو معروف للجميع، ولكنه أراد بقوله: (فيكم) أن يعلمهم الوصف الأليق والأجدر بهذا اللفظ وهو المفترض أن يكون معروفًا لهم ومنتشرًا فيما بينهم؛ لأن المعنى اللغوي معروف لدى العرب جميعًا،" وكل هذا إنما هو على معنى ضرب المثل، وتحويله من أمر الدنيا إلى معنى أمر الآخرة"[٢].

ولما كان الذي يفقد ولده تختلجه أحاسيس الألم والغضب، رأينا الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن سألهم عن الرقوب سؤالا مستقلا فأجابوا إجابتهم التي صححها لهم صلى الله عليه وسلم ، يبادرهم بسؤال آخر في نفس الجلسة عن

---

(١) ينظر السابق ج١ ص٤٢٤.

(٢) شرح سنن ابن ماجه ج٢٠ ص٣٤٦ المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى . المؤلف: محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي . الناشر: دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

الصرعة فقال: (فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ) فهو صلى الله عليه وسلم لم يعطف الصرعة على الرقوب عطف مفردات ، فلم يقل: (ما تعدون الرقوب والصرعة فيكم) ولكنه عطف عطْف جمل؛ لأن الرقوب والصرعة بينهما اختلاف من وجهين:

الأول: الرقوب عدم ، والصرعة وجود.

الثاني: الرقوب مما يخاف منه ويحذر منه بل يتشاءم منه ولا يتمناه الإنسان، بخلاف الصرعة؛ لأنها كانت مما يفتخرون به ويحاولون إظهاره.

وجاء السؤال بـ (ما تعدون) أيضًا لما ذكر سابقًا في قوله: (ما تعدون الرقوب)، والسؤال هنا عن (الصرعة) الصَرْعُ: الطَّرْحُ بالأَرض، ... والمُصارَعةُ والصِّراعُ : مُعالَجَتُهما أَيُّهُما يَصْرَعُ صاحِبَه[1].

وقال: (فيكم) أيضًا؛ لأنه أمر واقع بينهم وشائع لديهم، وذلك توطئة لتصحيح ذلك المفهوم المنتشر عندهم.

ويأتي الحديث الثالث كسابقيه يصحح به الرسول صلى الله عليه وسلم مفهومًا اجتماعيًّا خاطئًا سائدًا بين القوم، وقد اشترك هذا الحديث مع سابقيه في أن المفهوم الجديد عكس ما في نفوسهم ومضاد لمعرفتهم.

وإن اختلف هذا الحديث عن الحديثين السابقين في أسلوب التمهيد للحديث؛ حيث بدأ بقول الراوي(مر رجل) وقد تكرر هذا القول مرتين، فهذه زيادة غير موجودة في الحديثين السابقين ، والغرض من ذلك وصف القصة كما هي؛ لأن هذه الواقعة حدثت بالفعل، فقد مر رجل ذو وجاهة اجتماعية، ومر رجل آخر فقير، فأراد تعليمهم بما هو مشاهد في الوقت ليكون أوقع أثرًا، لا سيما وأن المثالين يستغرقان كل أحوالهم الاجتماعية؛ لأن الإنسان غني أو فقير.

---

(١) ينظر لسان العرب ج٨ ص ١٩٧.

أما في السابقين فلم يترتب تصحيح المفهوم على وجود حادث معين، كوجود رجل مفلس أمامهم أو رجل رقوب، وإنما حقائق ذهنية استقرت في عقولهم، فلم تحتج إلى مشاهدات.

و(مر) معناه التجاوز والذهاب[١] يعني أن هذا الرجل لم يجلس بينهم، فهو لم يقم طويلًا ولكن بمجرد رؤيته تجاوزهم وذهب بعيدًا ماضيًا في طريقه .

ثم إن مروره هذا كان على الرسول صلى الله عليه وسلم، يعني من ناحيته وبجانبه بدليل قوله: (مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فالصحابة قد يكونون رأوه من بعيد، ولكن يبدو أنهم كانوا يعرفونه جيدًا فبمجرد رؤيته من بعيد عرفوه وعرفوا صفته، فهو رجل وجيه عظيم الشأن بدليل التنكير للتعظيم في كلمة (رجل).

وقد "أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلم أصحابه مقاييس الرجال وأنهم لا يوزنون بهيئاتهم ولا بأموالهم وإنما المقياس الذي ينبغي أن يحفظوه ويعملوا به هو ما اعتمده الحكيم بقوله :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [٢] أراد أن يعلمهم ذلك فلم يلق إليهم الخبر إلقاء وإنما استخرج خطأهم في الحكم ثم جهلهم ليقع المقياس في نفوسهم كل موقع ويتمكن منهم فضل تمكن "[٣].

ولما كان تغيير المفهوم مترتبًا على حادثة معينة وهي مرور الرجل الوجيه ومرور الرجل الفقير كان السؤال بقوله صلى الله عليه وسلم: (ما تقولون في هذا)

---

(١) مرر : مَرَّ عَلَيْهِ وَبِهِ يَمُرُّ مَرًّا أَي اجْتَازَ . ومَرَّ يَمُرُّ مَرًّا ومُروراً : ذهَبَ. لسان العرب ج٥ ص ١٦٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) المنهل الحديث في شرح الحديث ج٤ ص٣٤ المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ـ الناشر: دار المدار الإسلامي ـ الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.

أي: في هذا الذي مر عليكم وكان "ذو زينة وشارة"[١] "مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ أَيْ: كُبَرَائِهِمْ وَعُظَمَائِهِم"[٢].

فلم يكن السؤال بـ (أتدرون) كما في حديث (المفلس)؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم عدم جهلهم بالأمر، كما لم يكن السؤال بـ (ما تعدون) كما في حديث (الرقوب)؛ لأنه لم يترتب الأمر على وجود مراتب.

وإنما كان السؤال بـ (ما تقولون)؛ لأنه أراد صلى الله عليه وسلم الاستنطاق وجهرهم بقولهم كأنه يطلب شهادتهم، والخطاب لمن حضر من الصحابة وشهد الواقعة. ولما أراد وصف الحال كان الاستفهام بـ (ما).

ثم ماذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سماعه لكلام الصحابة وإجابتهم هذه؟ قال الراوي: (ثم سكت) العطف بـ (ثم) يدل على أنه صلى الله عليه وسلم نظر إليهم طويلًا وانتظر لعله يجد منهم إجابة أخرى، ولكن يبدو أن هذا الأمر كان دون جدوى، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن تعمد السكوت (سكت) فلم يرد صلى الله عليه وسلم ولم يصحح لهم هذا المفهوم الخاطئ عن ذلك الرجل الوجيه الذي مر، ولكن بينما كان صلى الله عليه وسلم ساكتًا، والصحابة رضوان الله عليهم

---

(١) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج٨ ص١٤٠ . المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ . المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية . الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ج٨ ص ٢٧٦ المؤلف علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ت ١٠١٤هـ . الناشر : دار الفكر بيروت . لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢.

ينتظرون رده (فمر رجل[١] من فقراء المسلمين) الفاء هنا للترتيب والتعقيب، فهم لم يقوموا من مجلسهم حتى مر عليهم هذا الرجل الآخر، وأيضًا هذا الرجل مر سريعًا فقد تجاوزهم وذهب، والصحابة لمحوه وهو يمر ويمضي في طريقه، ويبدو أيضًا معرفتهم الجيدة لهذا الرجل، فقد تم وصف هذا الرجل أنه من فقراء المسلمين، ومع فقره " كان صالحًا دميمًا قبيحًا " [٢].

ثم ما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن يقطع سكوته، ويسألهم نفس السؤال السابق فقال: (ما تقولون في هذا) فقد أراد صلى الله عليه وسلم أن يستنطقهم للمرة الثانية كأنه يطلب شهادتهم، ومن ثمّ تولدت المقابلة في الوصف الآتي بعد حتى تمهد لبيان الحقيقة الجديدة .

أما الحديث الرابع فقد بدأ بتمهيد وتوطئة من الراوي حيث قَالَ: (لَقِيتُ أبا ذر بالربذة[٣]، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ) فما تقدم من كلام الراوي من السياق الحالي كان له ذلك الأثر في تغيير المفهوم؛ لأنه لما تغير المفهوم عن

---

(١) لم يقف الحفاظ على اسم الرجل الغني ولعل إغفاله من الرواة قصد به الستر عليه أما الفقير فقالوا إنه جعيل بن سراقة وكان رجلًا صالحًا دميمًا أسلم قديمًا وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. المنهل الحديث في شرح الحديث ج٤ ص٣٦.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ج٨ ص٢٣ المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ) الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ـ الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

(٣) الرَّبَذَة- :(بفتحات، وباؤها موحدة، وذالها معجمة): موضع على ثلاثة مراحل من المدينة. مصابيح الجامع ج١ ص ١٢٣ المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (ت ٨٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب ـ الناشر: دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

العبيد ساوى بينه وبين عبده في الملبس، فصاحب الواقعة هو أبو ذر ومعروف من هو أبو ذر: هذا هو الصحابي الكبير... أسلم قديمًا كان رابع أربعة في الإسلام، وخامس خمسة، أسلم بمكة ثم رجع إلى بلاده بإذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأقام بها ... وكان مذهب أبي ذر : أنه يحرم على الإنسان ما زاد عن حاجته(١).

فالراوي لقي أبا ذر حال كونه عليه حلة وعلى غلامه حلة أي مثلها، وقال حلة ولم يقل ثوبًا مثلًا أو رداءً؛ لأن الحلة هي الجيد والجديد من الثياب ولا تسمى حلة إلا إذا كانت من ثوبين (٢) ، وجاء لفظ (حلة) نكرة للتعظيم فهي حلة عظيمة جودتها عالية.

فلما رآه الراوي هو وغلامه يلبسان الثياب نفسها، وهذا على غير العادة أثار ذلك فضوله فكان لا بد أن يستفهم عن السبب؛ "لأن العادة جارية بأن تكون ثيابُ

---

(١) ينظر المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري ج٢ ص ٤٤ المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٥٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

(٢) الحُلَّة رِداء وَقَمِيصٌ وَتَمَامُهَا العِمامة، ... وَلَا يَزَالُ الثَّوْبُ الجَيِّد يُقَالُ لَهُ فِي الثِّيَابِ حُلَّة، فإذا وَقَعَ عَلَى الإنسان ذَهَبَتْ حُلَّته حَتَّى يَجْتَمِعْنَ لَهُ إمَّا اثْنَانِ وإما ثَلَاثَةٌ ... والحُلَل الوَشْي والحِبرَة والخَزُّ والقَزُّ والقُوهِيُّ والمَرْوِيُّ والحَرِير، وَقَالَ اليَمامي : الحُلَّة كُلُّ ثَوْبٍ جَيِّد جَدِيدٍ تَلْبسه غليظٍ أَو دَقِيقٍ وَلَا يَكُونُ إلّا ذَا ثوبَين، وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: الحُلَّة الْقَمِيصُ والإزار وَالرِّدَاءُ لَا تَكُونُ أَقل مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَقَالَ شَمِرٌ: الحُلَّة عِنْدَ الأَعراب ثَلَاثَةُ أَثواب، وَقَالَ ابْنُ الأَعرابي: يُقَالُ للإزار وَالرِّدَاءِ حُلَّة، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ حُلَّة؛ قَالَ الأَزهري: وأَما أَبو عُبَيْدٍ فإنه جَعَلَ الحُلَّة ثَوْبَيْنِ ... والحُلَل: بُرود اليمن ولا تسمى حُلَّة حَتَّى تَكُونَ ثَوْبَيْنِ، وَقِيلَ ثَوْبَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ . ينظر: لسان العرب ج١١ص١٧٢.

الغلام دون ثياب سيِّدهِ"[١] فما كان منه إلا أن قال: (فسألته عن ذلك) فقد سأله فور رؤيته بدليل الفاء التي تدل على الفور دون تراخٍ ، فهذا الذي رآه منعه من الانتظار والتمهل؛ لأنه أمر مستغرب.

فهذا السؤال كان تمهيدًا وتوطئة لذكر القصة التي كانت سببًا في تغيير عادة جاهلية كانت سائدة بين القوم وقتذاك والتي ستذكر لاحقًا ، ومن ثمّ أفادت تلك التوطئة دلالة أثر تغيير المفهوم الاجتماعي منه صلى الله عليه وسلم في نفس سيدنا أبي ذر حيث نقله من الضد إلى الضد ، فلم ينته عن المعايرة فقط ؛ بل زاد الإحسان في المعاملة الاجتماعية لتلك الطبقة من الناس .

ومن ثم كانت تلك التوطئة في الأحاديث الأربعة منه صلى الله عليه وسلم كاشفة عن البيان النبوي وخصائصه في تغيير المفاهيم من حيث:

- استثارة العقول وتحفيز النفوس لتقبل المفهوم الجديد .
- إشراك المتلقي معه في توضيح المفارقات بين المفاهيم القديمة والجديدة .
- تأمل المقابلات المعنوية واللفظية من المتلقي، ومن ثم اختياره.
- الإقناع والإمتاع معًا في تثقيف القلوب وتنبيه العقول للمتلقين؛ حتى يكون اختيارهم للمفهوم الجديد عن رضا تام وقبول نفسي .

---

(١) منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى (تحفة الباري) ج١ ص١٨٦ المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦ هـ)اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي . الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

المبحث الثاني

موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي القديم

هذا لازم التوطئة السابقة في الأحاديث كلها، إذا كان الغرض منها إخراج مكنونات النفس، فما دام أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل فلابد من إجابة القوم على سؤاله، وهذا ما وقع، فما كان منهم إلا أن أجابوا بقولهم في الحديث الأول: (الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ) ، والملاحظ أنهم في إجابتهم قد ذكروا المسند إليه، وكان السياق يقتضي الحذف؛ لأنه تقدم ذكره في السؤال، ولكنهم ذكروه إما لزيادة الإيضاح والتقرير، وللدلالة على مزيد العناية والاهتمام، أو لبسط الكلام حيث يقصد الإصغاء، كقول موسى عليه السّلام: (هِيَ عَصايَ)[1] ، أو للإشارة إلى تقريرهم الحقيقة التي يعرفونها وتربوا عليها.

ومن ثم قالوا: (فينا) مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحدد في السؤال فلم يقل: فيكم أو في غيركم؛ ليدللوا على "أَنَّهُمْ أَجَابُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِحَسَبِ عُرْفِ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ فِينَا غَفَلُوا عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ وَكَانَ حَقُّهُمْ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرُوهُ كَانَ وَاضِحًا عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[2] فقد قالوا: (الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ) لإدراك الصحابة رضوان الله عليهم أن القصد إلى لازم الفائدة وليست الفائدة الأولى من الكلام.

يقال: "أَفْلَس الرَّجُلُ إذا لَمْ يَبْقَ لَهُ مالٌ، يُراد بِهِ أَنه صَارَ إلى حَالٍ يُقَالُ فِيهَا لَيْسَ مَعَهُ فَلْس"[3] "والمفلس في عرف العرب: من لا مال له عينًا، ولا عرضًا، ولا

---

(١) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ج١ ص١٦٢.

(٢) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج٧ ص ٨٦ المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ت ١٣٥٣ هـ . الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) لسان العرب ج٦ ص ١٦٦.

غيره. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ : أتدرون ما المفلس؟ قالوا ما هو المعروف عندهم، فأجابوه بقولهم: من لا درهم له، ولا متاع . وهو في عرف الشرع: عبارة عن مِديان قصر ما بيده عن وفاء ما عليه من الديون، فطلب الغرماء أخذ ما بيده"[١] فهذه الإجابة هي ما يعرفونها، كما يعلمون علم اليقين أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم هذا، وتنكير كلمتي (درهم ومتاع) للتقليل فهو لا يملك أدنى شيء.

وفي الحديث الثاني يتبارى القوم في الإجابة لعلها تكون هي المقصودة، لكنهم يجيبون بنفس سرعتهم المعتادة، وبما هو معروف لديهم، مع علمهم جيدًا بمعرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى، وأنه له غرض آخر من سؤاله؛ بدليل قول ابن مسعود رضي الله عنه (قال : قلنا) بالتعبير بـ (نا) الفاعلين للدلالة على أن الجميع قالوا هذه الإجابة فهم متفقون عليها ولا يوجد أحد منهم معترضًا على هذه الإجابة أو لديه إجابة أخرى، بل قالوا جميعا: (الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ) أي: الرقوب الذي لا يولد له " لأنه يرقب وينتظر كل وقت ولادة الولد له ويطمع فيها "[٢] وحذف المسند إليه هنا لتقدم ذكره في السؤال، مع أنه في الحديث السابق عند الإجابة ذكروا المسند إليه مع تقدم ذكره في السؤال، إلا أنهم حذفوه في الإجابة هنا؛ لأنه مما يتشاءم منه وينفر منه ولذلك طووا ذكره.

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٤ص١٣١ المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦) حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال ـ الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

(٢) شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٢٤ ص١٢٤.

وعندما سئلوا عن الصرعة في الحديث نفسه أجابوا بقولهم: (الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ) وعرفوا المسند إليه بالموصولية؛ لأن التعريف باسم الموصول يمكنهم من ذكر الأوصاف اللازمة، فهو الذي لا يصرعه الرجال، فهذا هو الوصف المنتشر عندهم وهم يعرفونه ويقرونه جميعهم، والتعبير بالفعل المضارع المسلط عليه النفي يدل على تجدد ذلك واستمراريته فهو المنتصر دائمًا لا يتمكن الرجال من صرعته وإنما يصرعهم هو وذلك يتجدد في كل موقف يدخل فيه، ثم من يصرع ذلك الرجل؟ إنه يصرع (الرجال) أي الذين يتميزون بالقوة والشدة والكمال[1] فهم الأشخاص المستحقون الوصف بالرجولة ولذا عرف اللفظ بـ (أل) فهم المعروفون بذلك. وهم على وصفهم هذا لم يتمكنوا من صرعته.

أما في <u>الحديث الثالث</u> فقد أراد صلى الله عيه وسلم بسؤاله استنطاق الصحابة بصفات هذا الرجل الذي مر أمامهم في هذا الوقت فقال صلى الله عليه وسلم : (ما تقولون في هذا) أي: ما تقولون " في شأنه من الرد والقبول"[2]، والتعبير باسم الإشارة (هذا) دليل على أنه معلوم للصحابة أن هذا غني وهذا فقير، فهم يشاهدونه أمامهم ويعرفون صفاته جيدًا .

فجاء الجواب بقولهم: (حري) أي: " جَديرٌ وخَلِيقٌ"[3] وقد حذف المسند إليه هنا والتقدير (هو حري) وذلك للمسارعة إلى المطلوب، ربما لأن الصحابة كانوا متيقنين أن إجابتهم هذه هي الإجابة المطلوبة والتي سيقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتضيها فسارعوا بها .

---

(١) جاء في اللسان : وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُل صِفَةً يَعْنِي بِذَلِكَ الشِّدَّةَ وَالْكَمَالَ. ينظر: ج ١١ ص ٢٦٦.
(٢) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج٨ ص١٤٠.
(٣) لسان العرب ج١٤ ص ١٧٣.

ثم هو حري بماذا ؟ إنه حري بعدة أشياء أولها: (إن خطب أن ينكح) وقد حذف المفعول مع الفعل الأول (خطب) للعموم والشمول أي: إن خطب أي امرأة مهما كانت صفاتها في الجمال والنسب والمال والدين – وهي الصفات التي تخطب لها المرأة، أو أن القصد إلى تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم في هذا وفيما سيأتي؛ لأن القصد إلى تحقيق تلك الأفعال فيه على نحو حقيقتها في ذاتها من دون تعد إلى مفاعيل .

فالقصد أن يجاب فيها عند الخطبة والشفاعة أو القول من دون نظر إلى مخطوب أو مشفوع فيه أو مقول؛ دلالة على بلوغه في نفاذ الأمر مبلغًا متناهيًا.

وهذا شرط جوابه (أن ينكح) وجاء الفعل مبنيًّا للمجهول للتعميم في الفاعل فأي أحد يأتيه هذا الرجل مهما كانت منزلته سيوافق عليه وينكحه ابنته، والفعل المضارع استحضر مشهد هذا الرجل المتقدم للنكاح والذي سيلبى له طلبه بصورة مستمرة لا انقطاع لها، فلن يرفض طلبه بأي حال من الأحوال.

الوصف الثاني الحري به هذا الرجل: (وإن شفع أن يشفع) وشَفَع لِي يَشْفَعُ شَفاعةً وتَشَفَّعَ: طَلَب. والشَّفِيعُ: الشَّافِعُ، وَالْجَمْعُ شُفَعاء، واسْتَشْفَعَ بفُلان عَلَى فُلَانٍ وتَشَفَّع لَهُ إِليه فشَفَّعَه فِيهِ. وَقَالَ الْفَارِسِيُّ: اسْتَشْفَعه طلَب مِنْهُ الشَّفاعةَ أَي: قَالَ لَهُ كُنْ لِي شافِعاً... والشَّفاعةُ: كَلَامُ الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ فِي حَاجَةٍ يسأَلُها لِغَيْرِهِ. وشَفَعَ إِليه: فِي مَعْنَى طَلَبَ إِليه. والشَّافِعُ: الطَّالِبُ لِغَيْرِهِ يَتَشَفَّعُ بِهِ إِلى الْمَطْلُوبِ. يُقَالُ: تَشَفَّعْتُ بِفُلَانٍ إِلى فُلَانٍ فَشَفّعَني فِيهِ، وَاسْمُ الطَّالِبِ شَفِيعٌ... وَهِيَ السُّؤالُ فِي التَّجاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ والجَرائِمِ. والمُشَفِّعُ: الَّذِي يَقْبَل الشَّفَاعَةَ، والمُشَفَّعُ: الَّذِي تُقْبَلُ شَفاعَتُه.[1] وقد حذف المفعول أيضًا من الفعل (شفع) للعموم، أي: إن شفع لأي إنسان مهما كانت ذنوبه وجرائمه من العظمة والكثرة، وهذه الشفاعة كانت أمام أي عظيم، ماذا يحدث ؟

(١) ينظر لسان العرب ج٨ ص ١٨٤.

(أن يشفع) تقبل شفاعته على الفور مهما تكررت هذه الشفاعة؛ فكلما جدد الشفاعة يشفع، دل على ذلك التعبير بالفعل المضارع فشفاعته مقبولة على وجه التجدد والحدوث.

أما الوصف الثالث الحري به هذا الوجيه هو: (وإن قال أن يسمع) للمرة الثالثة يحذف المفعول من الفعل المعبر به لإطلاقه عن التقييد بشيء معين، فقد حذف مقول القول للتعميم، أي: إن قال أي كلمة في أي موقف، ماذا يحدث؟ (أن يسمع) فكلمته مقبولة ومصدقة، وقد بنى الفعل المضارع للمجهول أيضًا لعدم تحديد مستمع بعينه ، فكل من يستمع كلامه يقبله ويصدقه، فلم يجرؤ أحد على رفض كلامه أو تكذيبه، بصورة مستمرة ومتجدده؛ فكلما قال سمع في أي وقت وفي أي مكان وأيا من كان المستمع له.

ثم عندما استنطقهم للمرة الثانية عندما مر الرجل الفقير فقال: (ما تقولون في هذا) فما كان منهم إلا أنهم "أبدوا استخفافهم به وقالوا هذا جدير بالرفض"[1] فقد وصفوه بعدة أوصاف ، أولها : (قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح) وحذف المفعول من الفعل الأول للتعميم؛ لأنهم أرادوا القول إن خطب أي امرأة أيًا كانت صفاتها وصفات ذويها، وبني الفعل (ينكح) للمجهول للدلالة على أنه سيرفض طلبه من كل واحد يتقدم له، وهذا الوصف فيه ما فيه من الإهانة وعدم التقدير له من أحد .

والوصف الثاني لهذا الرجل: (وإن شفع أن لا يشفع) وحذف المفعول من الفعل الأول وبناء الفعل الثاني للمجهول للدلالة على أنه إن شفع لأى إنسان مهما كان جرمه صغيرًا أو كبيرًا فلن تقبل شفاعته على أي حال من الأحوال، وذلك يدل على المزيد من انخفاض شأنه ودنو منزلته وعدم الاعتداد به .

---

(١) المنهل الحديث في شرح الحديث ج٤ ص٣٤.

وثالث هذه الأوصاف: (وإن قال لا يسمع) أيضًا هنا حذف مقول القول وبنى الفعل للمجهول لدلالة على أنه لا يعتد بقوله مهما كان هذا القول، فقوله لن يسمعه أحد، حتى إنه فيه دلاله على عدم الإصغاء له من أول الأمر؛ فهم لم يتبينوا حتى ماذا يقول، فمجرد نطقه مرفوض وغير معتد به، فإذا تكلم انصرف الناس عنه وكأنهم لا يرونه أصلًا، ومن هنا تولدت المقابلة بين الرجلين.

فإذا نظرنا إلى المقابلة بين صفات الرجل الأول والرجل الثاني نجدها وضحت المعنى وأبرزته في أقوى صورة؛ فرأينا من خلالها كيف أن ما تثبت للأول قد انتفى عن الثاني؛ فهذا الأخير على النقيض من صفات هذا الوجيه، فكل ما أثبتوه للأول نفوه عن الثاني، فالأول جدير ومستحق لكل تقدير واحترام وقبول لمجرد وجاهته، والثاني مستحق لكل إهانة وتحقير ورفض لمجرد فقره .

وفي الحديث الرابع التمهيد للعادة القديمة كانت بسبب سؤال من راوي الحديث لأبي ذر عندما شاهده هو وغلامه يلبسان الملبس نفسه فسأل عن سبب ذلك، فما كان من أبي ذر إلا أن يجيب بقوله: (إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ) فقد أجاب أبو ذر بهذه الجملة المؤكدة التي دخلت فيها (إن) المضافة إلى (ياء) المتكلم والداخلة على الفعل الماضي؛ ليؤكد ما فعله ويقر به ويثبته، وإن كان مما يخجل منه ، إلا أنه أراد إثبات هذا الفعل على نفسه حتى يبين مدى شناعته وحتى يجتنبه غيره، وقد ندم بعد ذلك عليه بدليل ما فعله مع عبده بعد ذلك "فعند ذلك صار يعامل غلامه مثل ما يعامل نفسه، وإن كان لا يلزمه أن يسوي بينه وبينه، بل عليه أن يكسوه وأن يطعمه وليس بلازم أن يسوي بينه وبينه، لكن لما حصل منه ما حصل والرسول صلى الله عليه وسلم قال ما قال صار يعامله معاملة نفسه، يكسوه كما يكتسي ويطعمه كما يطعم رضي الله عنه وأرضاه."[1]

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ج١ ص١١٥ المؤلف: حمزة محمد قاسم ـ راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون ـ الناشر: مكتبة دار ←←←

فما هذا الفعل الشنيع الذي فعله؟ إنه سابب رجلًا ، فقد اختار اللفظ بعناية عندما قال: (سابيت) فلم يقل: شتمت أو عبت؛ وذلك لأن الكلمة تحمل الكثير من المعاني والدلالات فهي تحمل معنى القطع والشتم والعار كما أنها بمعنى الإست والدبر[١] كأنه "سمي الفاحش من القول بالفاحش من الجسد"[٢] ؛ لأن الذي يذكر معايب الآخر كأنه يكشف عورته، فهي كلمة تحمل الكثير من التقذيع .

وقال: (رجلًا)[٣] ولم يذكر اسمه " ولعل أبا ذر أبهمه خوفًا عليه من احتقار السامع."[٤] ولم يكتف بسببه فقد قال: (فعيرته بأمه) فـ (السب) يغاير (التعيير) ولذا عطف عليه بالفاء؛ ليدل على مسارعته إلى التعيير من دون تفكير، فبعد أن سبه عيره بأمه، فالتعيير يحمل معنى إلصاق المعايب والعار والتسامي والتفاخر عليه والتباهي[٥] فهو يحقر من شأنه ويجرحه.

→→→

البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية . عام النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

(١) سبب: السَّبُّ: القَطْعُ. سَبَّه سَبًّا: قَطَعه... والسَّبُّ: الشَّتْم، وَهُوَ مَصْدَرُ سَبَّه يَسُبُّه سَبًّا: شَتَمَه؛ وأَصله مِنْ ذَلِكَ. وسَبَّبه: أَكثر سَبَّه.. والسُّبَّة: العارُ... والسَّبَّةُ: الاسْتُ... قَالَ الأَزهري: جَعَلَ السَّبَّ جمعَ السَّبَّة، وَهِيَ الدُّبرُ. ينظر لسان العرب مادة (سبب) من ص ٤٥٠:٤٥٧

(٢) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري ج٢ ص١١٦ المؤلف: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

(٣) هو بلال بن حمامة المؤذن. منحة الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص١٨٦.

(٤) المنهل الحديث في شرح الحديث ج١ ص ٢٦.

(٥) فُلَانٌ يُعايرُ فُلَانًا ويُكايلُه أَي يُسامِيه ويُفاخِره. وَقَالَ أَبو زَيْدٍ: يُقَالُ: هُمَا يتعايبانِ ويَتَعايَران، فالتعايُرُ التَّسَابُّ، والتَعايُب دُونَ التَّعايُرِ إِذا عَابَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا... فَلَا يَكُونُ عَيَّرْت إِلَّا مِنَ الْعَارِ والتَّعْيِير... والعارُ: السُّبّة وَالْعَيْبُ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ شَيْءٍ يَلْزَمُ بِهِ سُبّة أَو عَيْبٌ،... والمَعايرُ: الْمَعَايِبُ؛ يُقَالُ: عارَه إِذا عابَه. ينظر: لسان العرب مادة (عير) من ج٤ص ٦٢٣:٦٢٥

والفاء "قيل: هي تفسيرية، كأنه بين أن التعيير هو السبب على حد قوله تعالى :﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[١] فإن قتل الأنفس هو عين التوبة، والظاهر أنه وقع بينهما سِباب وزاد عليه التعيير، فتكون عاطفة"[٢] ، والأولى عندي أنها عاطفة للمسارعة إلى الفعل، وكأنه يعذر نفسه في حكايته للقصة أنه في فعله ذاك لم يكن مترويًا لما قاله؛ وإلا لم يقله، وهذه المبادرة السريعة منه هي مسببة عن السباب السابق فتحمل معنى السببية أيضًا زيادة في التلميح إلى إعذار نفسه .

وبأي شيء عيره؟ لقد عيره بأمه أي بسواد أمه" قيل: قال له: يا ابن السوداء"[٣] وذكر الأم دون غيرها يدل على المزيد من الإهانة والتجريح، لما لها من مكانة كبيرة عند الابن.

هذا هو المفهوم القديم إنها خصلة من خصال الجاهلية التي لابد من تغييرها التفاخر بالأحساب والأنساب والتعالي على العبيد، فهذه الإهانة وذاك التجريح الذي صدر من أبي ذر رضي الله عنه لهذا الرجل، كان تمهيدًا لتصحيح لذلك المفهوم، وتوطئة لتغييره.

قال أبو ذر: (فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أبا ذر، أعيرته بأمه؟) ، يبدو أن هذا الرجل شكا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم [٤] ؛ لأن الكلام فيه اختصار بالحذف أي فشكا هذا الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو فعلم بذلك

---

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحُ البُخَاري ج٢ ص١١٦.

(٣) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ج١ ص ٩٠.

(٤) بذل المجهود في حل سنن أبي داود ص٥٤٥ المؤلف: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦هـ) اعتني به وعلق عليه: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي ـ الناشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م.

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما إن علم بذلك حتى سأل أبا ذرعن ذلك على الفور (فقال: يا أبا ذر) فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه لأبي ذر بهذا النداء الذي يدل على مدى استياء الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الفعل الصادر من أبي ذر؛ فهذا النداء فيه ما فيه من الدلالات فالنداء بـ (يا) التي للبعيد مع أن أبا ذر يقف بالقرب منه إلا أنه صلى الله عليه وسلم آثر استخدام أداة النداء (يا) ليوحي بذلك ببعد أبي ذر عن الحق فيما فعل وأنه تجاوز تعاليم الإسلام فهو بما فعل بعيد كل البعد عن الأخلاق الإسلامية السمحة التي تأمر بخلاف ذلك.

بالإضافة إلى ما يحمله النداء من تنبيه السامع وإيقاظه ليلفت انتباهه إلى عظم ما سيلقى إليه من قول.

وناداه باسمه ليبين صلى الله عليه وسلم أنه المقصود دون غيره حتى يستحي من هذا الفعل الذي فعله، وهذا على غير عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في تقديم النصيحة فهو في العادة إذا أخطأ أحد لا يفضحه ولا يواجهه بالسيء من الكلام بل كان يقول: ما بال أقوام، أو ما بال البعض، أو ما بال أحدكم وهكذا، ولكن يبدو أن هذا الفعل استعظمه الرسول صلى الله عليه وسلم من أبي ذر لمكانته العظيمة في الإسلام وكذلك مكانته عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن ناداه باسمه وسأله هذا السؤال الذي فيه إنكار وتوبيخ حيث قال: (أعيرته بأمه) فقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الفعل ووبخه على الإتيان به، حتى إنه صلى الله عليه وسلم ذكر ما فعله أبو ذر صراحة فقال: (أعيرته بأمه) فلم يقل صلى الله عليه وسلم : (أفعلت ذلك) أو (هل حقًّا حدث ما حدث) بل آثر النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر ذلك الفعل بألفاظه ليؤكد ما قاله أبو ذر، ويذكره بقوله، وليبين شناعة ما قال وأنه ليس بالشيء الهين، وليوضح لأبي ذر أنه يعلم تمامًا ما قاله بلفظه، فلقد فعل أمر عظيم لا ينبغي أن يخفيه صلى الله عليه وسلم

ويتستر عليه، وأيضًا تمهيدًا لتصحيح هذا المفهوم القديم، حتى يتجنبه الفاعل وغيره بعد ذلك.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاستفهام الإنكاري التوبيخي بل واجه أبا ذر بهذه الجملة القوية الأكثر توبيخًا بعد الاستفهام (إنك امرؤ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ) فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ينتظر جواب أبي ذر، ولم يسمع منه دفاعًا عن نفسه.

فلننظر إلى هذه الجملة وما اشتملت عليه من مؤكدات وألفاظ ، فلقد أكدها النبي صلى الله عليه وسلم بـ (إن) واسمية الجملة، ثم (كاف) الخطاب (إنك) وكأنه أراد مواجهته بالخطاب ومجابهته به حتي يكون التوبيخ أشد، ثم قال: (فيك جاهلية) أي: (خصلة جاهلية) باستخدام حرف الجر (في) الذي يدل على مدى تغلغل هذه الخصلة الجاهلية في نفسه وتمكنها منه واستقرارها فيه بالرغم من حسن إسلامه ومكانته، ثم عبر بالصفة (جاهلية) وحذف الموصوف (خصلة) للمسارعة إلى بيان بشاعة هذه الخصلة، فهي جاهلية والإسلام منها براء، فلا ينبغي أن تكون باقية في رجل مثل أبي ذر هذا الصحابي الجليل، ولا سيما إنه صلى الله عليه وسلم وصفه بالمروءة حين قال :(إنك امرؤ) ولم يقل له: إنك رجل أو إنسان او ما شابه ذلك ؛ لأن كلمة (امرؤ) من (المروءة) فهي تجمع بين كمال الرجولية والإنسانية والعفة والحرفة[1] ، فهو يتميز بكل تلك الصفات فلا ينبغي أن يقع منه مثل هذا الفعل، وقد جاءت هذه الجملة تمهيدًا وتوطئة لتصحيح هذا المفهوم القديم كما سنرى.

---

(١) المُرُوءَة: كَمالُ الرُّجُولِيَّة... والمُرُوءَة :الإنسانية... وَقِيلَ للأَحْنَفِ :مَا المُرُوءَةُ؟ فَقَالَ :العِفَّةُ والحِرْفةُ وسُئِلَ آخَرُ عَنِ المُروءَة، فَقَالَ :المُرُوءَة أَن لَا تَفْعَلَ فِي السِّرِّ أَمراً وأَنت تَسْتَحْيِي أَن تَفْعَلَه جَهْراً ينظر لسان العرب ج١ ص١٥٤ –١٥٥

المبحث الثالث

موازنة بين أساليب التعبير عن المفهوم الاجتماعي الجديد

لا ريب أن ما سبق من بيان منه صلى الله عليه وسلم في السؤال وبيان من الصحابة رضي الله عنهم في الجواب ؛ إنما كان لتقرير المفهوم الجديد الذي أراد تثبيته في نفوسهم .

ومن ثم يأتي جواب النبي صلى الله عليه وسلم في كل الأحاديث شافيًا كافيًا ليصحح لهم المفهوم القديم ويستبدل به المفهوم الاجتماعي الجديد في كل موضع. ومن هنا كان بيانه صلى الله عليه وسلم في المواضع الأربعة متسمًا بالإطناب أو التفصيل زيادة في التوضيح والتفصيل للمفهوم الجديد.

ففي الحديث الأول أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي...)فلننظر إلى دقة التركيب فقد أتي صلى الله عليه وسلم بهذه الجملة المؤكدة بأكثر من مؤكد (إن والجملة الإسمية) على اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، أو لأهمية الخبر في نفسه، وأنه خبر عظيم؛ لأنهم يجهلونه.

مع إعادة لفظ (المفلس) الذي سبق ذكره مرتين ليذكره للمرة الثالثة؛ ليشد انتباههم، ويشحذ نفوسهم، ويجذب تركيزهم؛ ليلتفتوا له بكل حواسهم، وليسمعوا ما سيلقى عليهم.

والعجيب أنه لم يقل لهم إجابتكم خطأ أو ليس هذا ما أريد سماعه، –وهذا في جميع مواضع تصحيح المفهوم الخطأ وليس هنا فقط– وإنما بين لهم حقيقة المفلس مباشرة؛ لأنهم أجابوا بحقيقة اللفظ اللغوية والتي يعرفونها ومنتشرة فيما بينهم، والدليل على ذلك قوله: (فينا)، فجاء الجواب من الرسول صلى الله عليه وسلم مشتملًا على هذا القيد الذي قدمه ففصل بين (المفلس) وبيان حقيقته وأوصافه (من أمتى)، فبالمقارنة بين قولهم (فينا) وقوله صلى الله عليه وسلم : (من أمتي) نجد أنه

أراد أن يبين من أول الأمر المفارقة بين واقع وواقع، فقولهم: (فينا) مجتمع ضيق، وقوله صلى الله عليه وسلم : (من أمتي) مجتمع أوسع، وأضافها النبي صلى الله عليه وسلم إلى نفسه أي هذه الأمة التي تنتمي لي، الأمة المحمدية الحقة التي تتصف بكونها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي يشيع فيها المعاني الإسلامية الحقيقية، والحقائق الشرعية التي لا تقبل الشك، وليدل على أنه أراد أمة الإجابة ، ومن ثمّ فستتغير المفاهيم عما كانت عليه في الجاهلية.

ثم بدأ صلى الله عليه وسلم ببيان أوصاف ذلك المفلس ليصحح لهم مفهومهم الخطأ السائد (لا درهم له ولا دينار) الذي يشيع بين الناس، فهذا هو الواقع المعتاد، ولا يعتقدون أنه خطأ، بهذا المفهوم الصحيح الذي كان أول بيان في التغيير، ليغير لهم عاداتهم القديمة ويخلصهم منها ويبدلها بما يتناسب مع الإسلام وتعاليمه، فقال: (يأتي يوم القيامة...) بالتعبير بالفعل المضارع (يأتي) لاستحضار المشهد عيانًا أمام الجميع فيشاهدون ذلك المفلس ماثلًا أمامهم على مرأى ومسمع من الجميع لا يخفى حاله على أحد.

وأتى بالظرف (يوم القيامة) وقدمه ليبين لهم أن هذا هو الإفلاس الحقيقي الذي يكون يوم القيامة يوم الحساب الذي يطمع فيه أي إنسان أن يجد عمله مقبولًا يؤهله للنجاة من النار ويسارع به إلى الجنة، حينئذ فقط يعرف الإنسان ما هو الإفلاس الحقيقي، عندما لا يؤهله عمله للنجاة يوم القيامة" فإن هذا هو المفلس حقاً، أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي وتذهب، ربما يكون الإنسان فقيرًا فيمسي غنيًا، أو بالعكس، لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها، وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان"[1].

(١) شرح رياض الصالحين ٥٢٩.

ثم كيف يكون حال هذا المفلس وما هو وصفه الحقيقي؟ إنه (يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ) إذن كانت له أعمال فهو لم يأت خاليًا من الأعمال الصالحة، بل جاء مزهوًّا وفخورًا بالأعمال الكثيرة والعظيمة والمتنوعة، دل على ذلك التنكير للتعظيم والتكثير في قوله: (صلاة وصيام وزكاة)، وكان يظن أنها ستؤهله للنجاة من النار ودخول الجنة، ومما يوضح هذا المشهد ويجسده أنه ألبسه ثوب الاستعارة فقد جعل الصلاة والصيام والزكاة أشياء مادية محسوسة يحملها ذلك المفلس ويأتي بها ويضعها أمام الجميع ليشاهدوا كثرتها وتنوعها، هذه الأعمال التي قل من الناس من يأتي بمثلها، لكنه لم يأت بهذه الأعمال فحسب، بل أتى محملًا بأشياء أخرى لم يحسب حسابها، فمع الصلاة والصيام والزكاة (يَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا) للمرة الثانية يعبر صلى الله عليه وسلم بالفعل المضارع ليستحضر المشهد شاخصًا أمام الجميع "وكأن الأفعال المضارعة في الكلام الحر مرايا تعكس لك الصورة والأحداث فلا تسمعها بأذنك فقط، وإنما تراها بعينك "[1].

ثم يعبر بـ (قد) والأفعال الماضية بعده (شتم – قذف – أكل – سفك – ضرب) لإفادة تحقق الوقوع فهذه الأفعال حدثت وتحقق وقوعها ولا سبيل له للفرار منها في هذا الموقف ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [2].

وهذه الأفعال التي أتى بها متعددة ومتنوعة وشاملة فهو لم يترك شيئًا إلا وفعله؛ فقد (شتم) و"الشَّتْمُ: قَبِيحُ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِيهِ قَذْفٌ. والشَّتْمُ: السَّبُّ"[3].

---

(١) قراءة في الأدب القديم ص ٣٢ د/ محمد محمد أبو موسى .ط٣ .مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٢) الشعراء أية ٨٨ – ٨٩.

(٣) لسان العرب ج١٢ ص ٣١٨.

وقذف: قذَفَ بِالشَّيْءِ يَقْذِف قَذْفًا فانْقَذَف: رَمَى. والتَّقاذُفُ: التَّرَامِ... القَذْف الرَمْيُ بِالزِّنَا أَو مَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ، وأَصله الرّمْيُ ثُمَّ استُعْمل فِي هَذَا الْمَعْنَى حَتَّى غَلب عَلَيْهِ.(١)

وأكل الأموال بغير حق، والأكل معروف واستعاره هنا للاستيلاء على أموال الغير بغير حق حتى تصير الصورة أبشع فهو لم يضع يده على أموال الغير فحسب، بل يأكلها ويخبئها في بطنه ويستلذ بأكلها، غير آبه بأنها ليست من حقه.

وسفك الدماء :" السَّفْكُ: صَبُّ الدَّمِ ونَثْرُ الْكَلَامِ. وسَفَك الدمَ والدمعَ والماءَ يَسْفِكُه سَفْكًا، فَهُوَ مَسْفوك وسَفِيك: صَبَّهُ وهَراقَه، وكأَنه بِالدَّمِ أَخص."(٢).

فقوله: (وسفك دم هذا) كناية عن القتل، فقد أتى بالمعنى مصحوبًا بالدليل ليصف بشاعة المنظر فهو قتل وأراق دم المقتول بدم بارد ويد ثابتة ليست بالمرتعشة، فقد أقدم على جريمته غير مبال بحرمة قتل النفس، ولم يروعه منظر الدم المراق.

وضرب: ولفظ (الضرب) يدل على شدة الارتطام والإيلام (٣) فقد فعل كل هذا دون أن يمنعه مانع فلم تنهه صلاته أو صيامه أو زكاته عن فعل تلك الأشياء .

وانظر إلى قوله: (هذا) اسم الإشارة، الذي تبع كل فعل من الأفعال السابقة، فقد لجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى التعبير به لإحضار الشخص المشار إليه أمام الجميع بصورته مع كل فعل " لتمييزه أكمل تمييز لصحة إحضاره في ذهن السامع

---

(١) ينظر السابق ج٩ ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢) السابق ج١٠ ص١٣٩.

(٣) يقال: ضَرَبَ الجُرْحُ ضَرَبانًا وضَرَبه العِرْق ضَرَبانًا إذا آلَمَهُ . والضَّارِبُ: المُتَحَرِّك. والمَوْجُ يَضْطَرِبُ أَي: يَضْرِبُ بعضُه بَعْضًا . لسان العرب ج١ ص٥٤٣ .

بوساطة الإشارة حسًّا"[١] وكرره مع كل فعل، والتكرار من الأمور التي يلجأ إليها المتكلم للتأكيد على أمر ما، قال ابن الأثير: "واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا له، وتشييدًا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك"[٢].

فكرر الرسول صلى الله عليه وسلم اسم الإشارة ليسلط الضوء على التنوع والكثرة "إن أبسط قاعدة نستطيع أن نصوغها بالاستقراء ونستفيد منها هي أن التكرار في حقيقته: إلحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها أحدهم أكثر من عنايته بسواها. وهذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنًا في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيمة "[٣] فالمتضررون من هذا الشخص كثيرون، كأنه لم يدع أحدًا إلا أذاه بطريقة ما، فهو لم يسلم أحد من آذاه. ثم هذا الترقي في ذكر الأفعال من الأدنى إلى الأعلى من الشتم إلى القذف إلى أكل الاموال إلى سفك الدماء كل هذا يبين بشاعة عمله وشناعته، وإن كان الضرب جاء متأخرًا عن هذه الحرمات مع أنه أخف جرمًا من القتل وما سبقه من جرائم؛ ليبين أن هذا الرجل لم يترك كبيرة ولا صغيرة من المجرمات إلا وأتى بها، وأنه بذلك وبكثرة

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ج٢ ص ١٨ المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي . الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ج٣ ص٣٤. المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة . الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

(٣) قضايا الشعر المعاصر ص ٢٧٦ تأليف: نازك صادق الملائكة: (ت ١٤٢٨هـ) الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان الطبعة: الخامسة.

اعتداءاته كان الأحق والأجدر أن يوصف بالمفلس، ولينبه على تخطيه في فعل ما يضر المجتمع، فمرة هذا الفعل ومرة ذاك من غير تناسب.

ثم يأتي الجزاء العادل لهذا المفلس الذي لا مفر منه، والسريع في نفس الوقت حيث لا يمهل دل على ذلك الفاء الداخلة على الفعل في قوله: (فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ) ثم جعل الفعل (يعطى) مبنيًا لما لم يسم فاعله أولًا: للعلم به، وثانيًا : للمسارعة في بيان وقوع الفعل الذي لا إمهال فيه وهو المراد، واستحضر من سيقتص من ذلك المفلس باسم الإشارة (هذا) وتكراره أيضًا لتكثير عدد المعتدى عليهم، فالذين يطالبون بالقصاص من ذلك المفلس كثيرون، كما كان المتضررون من هذا المفلس الذين اعتدى عليهم بدون وجه حق كثيرين، وقال: (يعطي) ولم يقل أن الذي له الحق يأخذ من حسنات هذا الرجل بنفسه وذلك لتكريم أولئك الذين لهم الحق فهم سيصلهم حقهم في أماكنهم دون أي مجهود منهم، فما أخذ منهم في الدنيا أعطي لهم في الأخرة بهذا القصاص العادل.

(فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ) الفَنَاء: نَقِيض الْبَقَاءِ وهو نَفادُ الشيءِ[1] والتعبير بالفناء يدل على أن حسناته كلها تزول زوالًا تامًا ، ولا يبقى شيء منها، فيعود خالي الوفاض ، قد ذهب كل عمله هباء.

وقوله: (قبل أن يقضي ما عليه) يدل على كثرة هذه الجرائم فصلاته وصيامه وزكاته على كثرتها طول عمره لا تكفي لقضاء ما عليه، والتعبير بالاسم الموصل

---

(١) ينظر: لسان العرب ج١٥ ص١٦٤ و تاج العروس من جواهر القاموس ج٣٩ ص٢٥٦ المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي . تحقيق: جماعة من المختصين . من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت . النشر: (١٣٨٥ – ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ – ٢٠٠١).

(ما) يدل على أن ما فعله لا يحيط به وصف، ولا يستطيع أحد أن يدرك كنهه، فما فعله جرائم كبيرة وعظيمة تفوق إدراك العقل.

فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ماذا سيحدث؟ (أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ) للمرة الثانية يعبر بالفعل المبني لما لم يسم فاعله؛ لأن الفاعل معلوم وهو أيضًا ليس المقصود، وإنما المراد وقوع الفعل (الأخذ) وجعل الفعل ماضيًا لتحقق الوقوع فالأخذ من حسناته أمر محقق واقع لا محالة .

وقال: (من خطاياهم) عبر بالخطايا؛ لأن :"الخَطَأُ والخَطاءُ: ضدُّ الصَّوَابِ... وأَخْطَأَ الطَّرِيقَ: عَدَل عَنْهُ . وأَخْطَأَ الرَّامِي الغَرَضَ: لَمْ يُصِبْه.... وخَطِئَ الرجلُ يَخطَأُ خِطْأً وخِطْأَةً عَلَى فِعْلَةٍ: أَذنب ."[1] فالذي عندهم ذنوب بسيطة بعيدة كل البعد عن القتل والدم، فهل تفي هذه الخطايا بالمطلوب؟ نعم تفي فهي خطايا كل من أذنب في حقهم تجمع كلها، والدليل على ذلك أنه عبر بجمع الكثرة (خطايا)، وأضاف (الخطايا) إلى ضمير الجمع (هم) الذي يعود على من أذنب في حقهم، فلم يقل هذه المرة (يؤخذ من خطايا هذا وخطايا هذا) كما قال: (فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته) وإنما جمع خطايا المعتدى عليهم كلها؛ لتظهر كثرتها؛ لأنها في الأصل ذنوب يسيرة، فإذا جمعت ظهرت كثرتها حتى تفي بهذا القصاص العادل.

ثم قال (فطرحت عليه) انظر إلى السرعة في الجزاء العادل والتي دل عليها دخول (الفاء)على الفعل، فهو لن يمهل بعد أن أخذت منه كل حسناته بل تلقى عليه هذه الخطايا بسرعة حتى ينال الجزاء الرادع.

---

(١) لسان العرب ج١ ص٦٦.

وكلمة (طرحت) فيها من الإهانة والألم ما فيها؛ لأن طَرَحَ بِالشَّيْءِ وطَرَحَه يَطْرَحُه طَرْحًا واطَّرَحَه وطَرَّحه: رَمَى بِهِ... الشَّيْءُ المطروحُ لَا حَاجَةَ لأَحد فِيهِ.(١) فهذه الاستعارة البديعة في كلمة (فطرحت) جسدت الموقف فجعلت هذه الخطايا كأنها أحجار ثقيلة ترمى عليه بقسوة شديدة تحمل المهانة والألم في نفس الوقت فيتألم جسديًّا ونفسيًّا، والجار والمجرور (عليه) جعل هذه الخطايا تعتليه كأنها تتساقط عليه من فوق رأسه، فهذه الخطايا ترمى عليه بمنتهى القسوة والمهانة بعد أن أخذت من أصحابها الذين أصبحوا لا حاجة لهم بها بعد أن أخذوا جميع حسناته، فتبدل الحال وصار هو مثقل بالخطايا والذنوب، وهم محملين بصلاته وصيامه وذكاته جراء ما اقترفه في حقهم في الدنيا مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (٢).

ولن يكتفى بذلك بل (ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) فقد جعل العطف هنا بـ (ثم) التي تفيد التراخي؛ لأنه سيأخذ وقتًا طويلًا في هذا القصاص الذي لا ينتهي بسرعة، ويمكث وقتًا طويلًا أيضًا في المعاناة من ذلك الألم الجسدي والنفسي جراء طرح الخطايا عليه، حتى يظن أنه سيكتفى بذلك، فيتفاجأ بالطرح في النار، وللمرة الثانية يعبر بالفعل الماضي (طرح)؛ لأن أمر طرحه في النار محقق واقع لا محالة، والتعبير بـ (الطرح) مرة أخرى ليدل على المزيد من القسوة والإهانة التي سيتعامل بها ذلك المفلس، فسيظل يتخبط ويرمى به من هنا وهناك حتى يستقر في النار دل على ذلك حرف الجر (في) في قوله: (في النار)؛ لأن النار ستكون هي المستقر له في النهاية، ولبئس النهاية لهذا المفلس.

---

(١) السابق ج٢ ص ٥٢٨.

(٢) الفرقان أية ٢٣.

فأي فلس أشد وأقوى من هذا الذي شهدناه، وبهذا يكون النبي صلى الله عليه وسلم صحح للصحابة رضوان الله عليهم مفهومهم عن الإفلاس، وفرق كبير بين الإفلاس الدنيوي والإفلاس الأخروي "المفلس الدنياوي إما من لم يكن له شيء من أول الأمر، أو كان غنيًا ثم افتقر، فالثاني يستضر بإفلاسه ما لا يستضر بالأول، وكذلك مفاليس الآخرة، فالذي كان اكتسب من كل أنواع العبادات، ثم افتقر ولم يبق له شيء أشد حسرة من الذي لم يكتسب وأتى خالي اليد، ولذلك ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أعلى قسمي المفاليس في الإفلاس"(١).

فمفلس الأخرة هو المفلس الحقيقي الذي يستحق هذا اللقب عن جدارة "ذاك أنه صلى الله عليه وسلم بيَّن الحكم في الآخرة، فلما كان الإنسان إنما يُعَدُّ غنيًّا في الدنيا بماله؛ لأنه يجتلب به المسرّة ويدفع المضرّة، وكان هذا الحكم في الآخرة، للعمل الصالح، ثبتَ لا محالة أن يكون الخالي ـ نعوذ بالله ـ من ذلك، هو المفلس، إذ قد عَرِيَ مما لأجله يسمّى الخالي من المال في الدنيا مفلسًا، وهو عدم ما يوصله إلى الخير والنعيم، ويقيه الشرَّ والعذابَ"(٢).

وكانت إجابة الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الثاني أنه (قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ) فقد نفى صلى الله عليه وسلم الوصف الذي ذكروه عن طريق تسليط النفي (ليس) على (ذاك) المشار بها إلى وصفهم، مع أنهم أجابوا بما هو شائع

---

(١) الكوكب الدري على جامع الترمذي ج٣ ص٢٧٢ المؤلف: رشيد أحمد الكنكوهي (ت ١٣٢٣ هـ) جمعها ورتبها: محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ت ١٣٣٤ هـ ـ المحقق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي ـ الناشر: مطبعة ندوة العلماء ـ الهند ـ عام النشر: ١٣٩٥ هـ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٨٦ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ ـ قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر ـ الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

بينهم لغة وعرفًا لكن "النفي ليس مطلقًا حتى لا يوصف من لا يولد له بالرقوب وإنما هو نفي الكمال والاستحقاق لإثبات الكمال والاستحقاق لغيره"[١] فـ" هذا النفي لمعناه الحقيقي ليس نفيًا في الحقيقة، وإنما هو لبيان قوة المعنى المجازي الذي ذكره – صلى الله عليه وسلم – بعده، كأن المعنى الحقيقي انتفى في مقابله، وهذا من بديع أسلوب البيان والتعبير"[٢].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد تصحيح المفهوم الذي كان معروفًا لديهم ، فلم ينف المعنى الذي ذكروه فقط ؛ بل بين لهم المفهوم الجديد الذي صحح به المفهوم القديم، فقال: (وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا).

الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم المفهوم الصحيح والوصف الأليق للرقوب فقال: (الرجل الذي لم يقدم من أولاده شيئًا) فأول صفات ذلك الرقوب أنه (الرجل) ولم يقل صلى الله عليه وسلم (الرقوب الذي لم يقدم...) كما قال في الحديث السابق عندما بين حقيقة المفلس (إن المفلس من أمتي...) للتأكيد في حديث المفلس وليبين صلى الله عليه وسلم أنه أكثر تبرأ من المفلس.

ثم عرفه بالموصولية أيضًا فقال: (الذي)؛ لأن التعريف بالموصولية هنا مكنه من ذكر صفات يحرص على إبرازها في ذلك الرجل[٣] فقد وصفه بأنه (لم يقدم) بتسليط النفي على الفعل المضارع (يقدم) فتحول إلى ماضٍ، أي لم يقدم سلفًا.

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج١٠ ص ٩٦ المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ـ الناشر: دار الشروق الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) منة المنعم في شرح صحيح مسلم ج٤ ص ١٩٦ المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ) . الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري –الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

(٣) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ص١٩٥ المؤلف: محمد محمد أبو موسى ـ الناشر: مكتبة وهبة ـ الطبعة: السابعة .

وعبر بـ (يقدم) ولم يقل مثلًا: (لم يمت له من أولاده شيء)؛ لأن التقديم يكون لأمر يقصد إليه، كما أن الشيء المقدم يكون شريفًا[١] يستحق التقديم كتقديم الهدية مثلًا، وربما يقصد هنا تقديم الأولاد عن طيب خاطر بغير حزن ولا جزع.

"لما كان الرقوب عندهم ذا مصيبة لفقد بنيه، كثير الأسف على ذلك، أعلمهم – عليه السلام – أن الذى أصيب بفقدهم في الآخرة هو المصاب حقيقة؛ لما فاته"[٢] فالرقوب "هُوَ مَنْ لَمْ يَمُتْ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ فِي حَيَاتِهِ فَيَحْتَسِبُهُ يُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ مُصِيبَتِهِ بِهِ وَثَوَابُ صَبْرِهِ عَلَيْهِ وَيَكُونُ لَهُ فَرَطًا وَسَلَفًا"[٣].

وقال (شيئًا) ولم يقل (واحدًا) مثلًا؛ لأن مادة (الشين والياء والهمزة) تدور حول القليل والمشوه والناقص[٤] فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد بهذا اللفظ أن هذا الرجل لو كان قدم من أولاده ولدًا غير مكتمل سواء أكان مشوهًا أو مريضًا لاحتسب ذلك له .

وبذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم صحح لهم مفهومهم الخطأ عن الرقوب بهذا الأسلوب المفعم بالإقناع.

---

(١) يقال : قَدِمَ فُلَانٌ إلى أَمر كَذَا وَكَذَا أَي قَصَدَ لَهُ،... القُدَّامُ والقِدِّيم الَّذِي يتَقَدَّم النَّاسَ بِشَرَفٍ. ينظر: لسان العرب ج١٢ ص١٧١.

(٢) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ ج٨ ص٨٣ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم ـ المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) المحقق: الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل ـ الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ـ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٣) شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٢٤ ص١٢٤.

(٤) ومن المادة المُشَيَّأُ: المُخْتَلِفُ الخَلْقِ المُخَبَّله القَبِيحُ... وَقَدْ شَيَّأَ اللَّهُ خَلْقَه أَي قَبَّحه. ينظر: لسان العرب ج١ ص١٠٦.

أما في الجزء الثاني من الحديث عندما كان السؤال عن الصرعة جاء جواب النبي صلى الله عليه وسلم الذي صحح به ذلك المفهوم بكلام موجز دقيق (قَالَ: لَيْسَ بِذَلِكَ) ولم يرد بهذا السلب سلب الأصل، لكن سلب الأولى[١] أي: ليس هذا الذي تعرفونه ومنتشر بينكم، (وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَب) أي الأحق والأولى بهذا الوصف هو من يملك نفسه عند الغضب، وقد جاء جوابه صلى الله عليه وسلم محكمًا مؤكدًا عن طريق استخدامه لأسلوب القصر الذي رسخ المعنى في ذهن المخاطب وقرره.

وجاء بالاسم الموصول (الذي) أيضًا ليتمكن من ذكر أوصاف ذلك الرجل (الذي يملك نفسه) وعبر بلفظ يملك دون يسيطر مثلًا أو يمسك؛ لأن (ملك) تدل على الهيمنة والسيطرة والقهر [٢] فهو الذي يستطيع أن يقهر نفسه ويسيطر عليها. والفعل المضارع استحضر المشهد الذي يتجدد بامتلاك نفسه والسيطرة عليها في كل مرة يتجدد فيها الغضب.

ومتى يكون ذلك ؟ إنه (عند الغضب) والتعبير بالظرف (عند) يدل على أن ذلك لا يكون إلا وقت حدوث ما يدعو إلى ذلك الانفعال الشديد (الغضب) فـ "الغضب انفعال طبيعي في جبلة الإنسان وخلقته وكل ما يملكه الإنسان بشأنه أن يجتنب أسبابه وأن يتفادى إثارته كما يملك الإنسان القوي الحد من ثورته والتهدئة من فورانه والتوقف عن الاستجابة لحرارته وتحريك الجوارح واللسان في تياره واندفاعه وكلما ملك الإنسان نفسه عند الغضب كان أقوى الناس؛ لأن أعدى عدو للإنسان نفسه وشيطانه فإذا غلبها فقد غلب أقوى أعدائه"[٣].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج٦ ص ٥٩٧.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة (ملك) ج١٠ ص ١٩١-١٩٢.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج١٠ ص ٩٦.

"وأما ذكر الصرعة فتنبيه على معالجة النفس وقهرها؛ فإن ذلك أشق وأشد من معالجة المصارعة للناس؛ لأن النفس عدو خفي والذي يصارع خصم ظاهر، ومعالجة العدو الخفي أشق من معالجة الخصم الظاهر"(١).

فهذا هو المفهوم الجديد للصرعة والذي صحح به النبي صلى الله عليه وسلم لهم المفهوم الخطأ "ومعناه أنكم تعتقدون أن الصرعة الممدوح القوي الفاضل هو الذي لا تصرعه الرجال بل يصرعهم وليس هو كذلك شرعًا بل هو من يملك نفسه عند الغضب فهذا هو الفاضل الممدوح الذي قل من يقدر على التخلق بخلقه ومشاركته في فضيلته بخلاف الأول "(٢).

وفي الحديث الثالث بعد أن سكت النبي صلى الله عليه وسلم بعد إجابتهم عندما سئلوا عن الرجل الوجيه الذي مر أمامهم وبعد أن استمع الرسول صلى الله عليه وسلم كلام الصحابة عن الرجل الفقير لم يسكت هذه المرة، ولكنه أجاب على الفور دون مهلة أو تراخٍ (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا) الفاء دلت عل سرعة جوابه صلى الله عليه وسلم فهو هذه المرة لم ينتظر بل سارع بتصحيح هذا المفهوم الخاطئ الذي شاع وانتشر بينهم، فهم يرون الخيرية والمثالية للغنى والوجاهة، كما يرون الدونية والتحقير للفقر ورقة الحال.

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ج٢ ص١١٦ المؤلف: يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ) المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد . الناشر: دار الوطن سنة ـ النشر: ١٤١٧هـ.

(٢) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب ج٥ ص ١٠٤للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ) المؤلف: أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ – ٨٧٠ هـ) قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيم ـ دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم ـ الناشر: المُحقِّق ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م ، مكتبة دار السلام، الرياض – المملكة العربية السعودية

فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن قال: (هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا) بالإشارة باسم الإشارة الأول للرجل الفقير، وبالثاني للرجل الغني، ويبدو أن الاثنين انصرفا ولم يجلسا معهم بدليل الفعل (مر)، فالذي كان منهما مجرد مرور، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عرفهما باسم الإشارة (هذا) لاستحضار صورتهما بالإشارة الحسية وكأنهما ما زالا ماثلين أمامهم.

وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم (الخيرية)؛ لأن الخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ، قال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [١] جَمْعُ خَيْرَةٍ، وَهِيَ الْفَاضِلَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ... فإن أَردت مَعْنَى التَّفْضِيلِ قُلْتَ: فُلَانَةُ خَيْرُ الناسِ وَلَمْ تَقُلْ خَيْرَةُ، وفلانٌ خَيْرُ النَّاسِ وَلَمْ تَقُلْ أَخْيَرُ، لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ؛ لأَنه فِي مَعْنَى أَفعل[٢] . فهذا الرجل الفقير له الأفضلية في كل شيء ، ففي قوله صلى الله عليه وسلم : (خير من ملء الأرض) إيجاز قصر؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أطلق الخيرية فقد حاز هذا الرجل الخيرية فيما قالوا وفيما لم يقولوا.

والتعبير بقوله صلى الله عليه وسلم : (ملء الأرض) دليل على الكثرة الكاثرة أي: حتى لو امتلأت الأرض بمثل هذا الغني الوجيه لم يكونوا في فضل وثقل هذا الرجل الفقير في الخيرية، وهذا اقتباس أيضًا من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ [٣]... أي: ما يملؤها من شرقِها إلى غربها.[٤] وأي تشريف وتفضيل لهذا الرجل الفقير الذي لا

---

(١) التوبة: ٨٨.
(٢) لسان العرب ج٤ ص ٢٦٤.
(٣) آل عمران : ٩١.
(٤) ينظر: فتح الرحمن في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٨٩ المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب . الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلَامِيّةِ . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

يساويه ملء الأرض من مثل هذا الرجل الغني؟ فقد صحح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم مفهومهم الخاطئ فـ"قد بنى الصحابة تقديرهم للرجلين على أساس الغنى والحسب والجاه وفاضل الرسول بينهما على أساس الدين ليرشدهم إلى أن منزلة الرجال وكفاءتهم ينبغي أن تقاس بهذا المقياس لا بذاك"[1] وذلك عن طريق هذه الجملة الموجزة المركزة والتي تحمل الكثير من المعاني ، فتلقاها الصحابة رضوان الله عليهم بالرضا والقبول، فلم ينبس أحدهم بعد قوله صلى الله عليه وسلم ببنت شفة.

وفي الحديث الرابع بعد أن واجه النبي صلى الله عليه وسلم أبا ذر بما فعله قائلًا: (أعيرته بأمه) ثم بين أن هذا الذي فعله خصلة من خصال الجاهلية المذمومة بقوله: (إنك امرؤ فيك جاهلية)، بدأ صلى الله عليه وسلم ببيان المفهوم الجديد قائلًا: (إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ) وأصل الجملة (خولكم إخوانكم)؛ لأنه أراد صلى الله عليه وسلم أن يخبر عن الخول بأنهم إخوة فقدم الخبر؛ لأنه المقصود فقد أراد أن يبين صلى الله عليه وسلم العلاقة بين الخادم والمخدوم فهي علاقة إخوة ليس فيها تكبر او تعال.

فـ" الخَوَل حَشَمُ الرَّجُلِ وأَتباعُه، وَيَقَعُ عَلَى الْعَبْدِ والأَمة، وَهُوَ مأْخوذ مِنَ التَّخْوِيل وَالتَّمْلِيكِ، وَقِيلَ مِنَ الرِّعايةِ... والخَائِل: الْمُتَعَهِّدُ لِلشَّيْءِ وَالْمُصْلِحُ لَهُ الْقَائِمُ بِهِ"[2] فالخول يكون تحت رعاية سيدة وهو من يقوم بخدمته، وهو من يتعهد الأشياء بالإصلاح، فيجب على سيده الترفق به، وأن يحسن معاملته كما يعامل إخوانه.

ثم قال صلى الله عليه وسلم : (جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ) أي: إن الله ملككم أمرهم وجعلهم تحت تصرفكم، فقوله: (تحت أيديكم) مجاز عن القدرة أو التملك، فهذا التعبير المجازي يدل على مدى تحكم السيد في هذا العبد كما يدل على مدى القهر

---

(١) المنهل الحديث في شرح الحديث ج٤ ص٣٤.

(٢) ينظر: لسان العرب ج١١ ص٢٢٥.

والإذلال والضعف الذي يشعر به ذلك العبد، فمن الواجب التخفيف عنه بحسن المعاملة التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم) فقد عبر صلى الله عليه وسلم بأسلوب الشرط لمدى التلازم بين الشرط والجواب. والشرط من الأساليب التي تمتزج بالنظم فيقوى حتى يصير بناءً واحدًا فيدق ويعمق(١). فأسلوب الشرط جعل هذا الكلام ملزمًا، فلا بد من الالتزام به، " فأصل الشرط والجزاء أن يتوقف الثاني على الأول، بمعنى أن الشرط إنما يستحق جوابه بوقوعه هو في نفسه "(٢).

وأسلوب الشرط مفعم بالألفاظ الدالة والمعبرة فقد قال صلى الله عليه وسلم : (فمن كان أخوه تحت يده) فقد عبر بلفظ (أخوه) ولم يقل: (فمن كان خوله)؛ ليؤكد أنهم إخوة ويجب معاملتهم معاملة الإخوة، وللمرة الثانية يعبر بأسلوب (تحت يده) بعد أن قال قبلا: (تحت أيدكم) ليدل على مدى تحكم هذا السيد وطلاقة قدرته على عبده، فليرفق به ولا يتسلط عليه بأفعال تؤذيه؛ ولذا جاء جواب الشرط فعلًا مضارعًا مقترنًا بـ (لام الأمر) المسبوق بـ (الفاء) ليدل على إلزامه بذلك على وجه التجدد والحدوث وعلى الفور دون مهلة أو تراخٍ فقال: (فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ) فهذا الأمر فيه إلزام، والأمر وهو طلب فعل غير كف على وجه الاستعلاء... والأظهر أنّ صيغته من

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز في علم المعاني ص٨١ . المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر . الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة . الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص٣٦٩ . للإمام بدر الدين الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤ هـ) علق عليه مصطفى عبد القادر عطا . دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤ م .

المقترنة باللام؛ نحو: ليحضر زيد وغيرها نحو: أكرم عمرًا، ورويد بكرًا، موضوعة لطلب الفعل استعلاء؛ لتبادر الفهم عند سماعها إلى ذلك المعنى .[١]

وهذا أمر على وجه الاستعلاء ، ولا شبهة في أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء يورث إيجاد الإتيان به على المطلوب منه ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة [٢].

وذكر الإطعام أولًا؛ لأن الأكل هو ما يصلح قواه الجسدية ويعينه على أداء مهامه دون تعب ، وجعل هذا الاطعام مما يأكل سيده ليدل على جودة الطعام، وتنوعه أيضًا دل على ذلك الاسم الموصول (مما يأكل) فهو سيطعمه من كل أنواع الأكل التي سيأكل منها، وهذا فيه ما فيه من التكريم والعطف .

وليس ذلك فقط بل (وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ) للمرة الثانية يعبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمضارع المقترن باللام ليدل هذا الفعل على الإلزام والوجوب فهو صيغة من صيغ الأمر، والأمر يدل على الوجوب؛ فيجب على السيد أن يلبس عبده مما يلبس، فلا يلبسه الخلق من الثياب، ولا حتى الرخيص منها، بدليل قوله: (مما يلبس) يعني يلبسه مما يرتضي لنفسه أن يلبسه. فهو لن يعتني فقط بقواه الجسدية بالأكل، بل أيضًا بحالته النفسية من حيث مظهره الذي يبدو عليه للناس.

---

(١) ينظر: شروح التلخيص ج٢ ص٣٠٩ – ٣١١ وهو مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص وحاشية الدسوقي على شرح السعد . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ص ٣١٨.

ثم قال صلى الله عليه وسلم : (وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم) هذا النهي للتحريم فيحرم على السيد أن يكلف عبده ما يغلبه، وعبر بلفظ (تكلفوهم)؛ لأن التكليف " أَمره بِمَا يَشُقُّ عَلَيْهِ. وتَكَلَّفْت الشيءَ: تجشَّمْته عَلَى مشقَّة وَعَلَى خِلَافِ عَادَتِكَ... مَلْت الشَّيْءَ تَكْلِفَة إِذَا لَمْ تُطقه إِلَّا تكلُّفًا "[١] وقال: (ما يغلبهم)؛ لأن الغلبة هي القهر[٢] فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تكليفهم العمل الذي يشق عليهم ويقهرهم.

ثم قال: (فإن كلفتموهم فأعينوهم) للمرة الثانية يعبر النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب الشرط للتلازم بين الشرط والجزاء أي: إن حصل منكم هذا التكليف الذي فيه مشقة بدون قصد كأن اضطررتم إليه وكان ذلك في أضيق الحدود ونادرًا ما يحدث، دل على ذلك استخدام (إن) في أسلوب الشرط التي تدل على الشك وعدم تحقق الوقوع دون (إذا) التي تدل على تحقق الوقوع، فإن حدث ذلك فيجب عليكم إعانتهم، وعطف فعل (الإعانة) على فعل (التكليف) بالفاء ليدل على سرعة الإعانة على الفور دون تراخٍ أو إمهال فالعون يكون ملازمًا للتكليف؛ فهذا حق العبد على سيده.

وعبر بلفظ (أعينوهم) ولم يقل: فساعدوهم مثلًا؛ لأن العَوْنُ: الظَّهير عَلَى الأَمر.... [٣] ففيه معنى المساندة والمعاضدة والتشجيع؛ ولذا كان هذا اللفظ أدق وأنسب للغرض.

وهكذا صحح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم المفهوم القديم بأسلوب شافٍ كافٍ؛ مما جعل الصحابي الجليل أبا ذر يغير معاملته لعبده فور سماعه ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم كما حدث.

---

(١) ينظر: لسان العرب ج٩ ص٣٠٧.

(٢) ينظر: لسان العرب ج١ ص٥٥١.

(٣) ينظر: لسان العرب ج١٣ ص ٢٩٨-٢٩٩ .

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . ثم أما بعد:

فهذه الدراسة البحثية أسفرت في نهايتها عن عدة نتائج وهي:

١- الأحاديث جميعها اطرد فيها التوطئة للخطأ منه صلى الله عليه وسلم بالاستفهام فقد اشتركت جميعها في التمهيد والتوطئة بأسلوب الاستفهام لتقرير المخاطبين بما في اعتقادهم وأنفسهم تجاه تلك المفاهيم الاجتماعية الخاطئة، ولكنها وإن اشتركت في ذلك إلا أن لكل حديث منها خاصية في التمهيد والتوطئة لهم، ثم في تعقيب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك بالتوجيه الكافي السديد.

٢- كذلك اطرد في بنية الاستفهام في جميعها الإيجاز حتى لا يشتت عقلهم في الجواب، فيكون محددًا بأمر واحد؛ فلم يطنب صلى الله عليه وسلم في سؤالهم عن المفهوم القديم؛ حيث جاء الاستفهام في المواضع الأربعة في بنية مركزة وقد اكتنزت من المعاني والدلالات الكثير. وهذا على عكس الجواب الذي حرص فيه صلى الله عليه وسلم على استقصاء المفهوم الجديد فأحاط به من جوانبه تثبيتًا للمفهوم الجديد في نفوسهم وحرصًا على قبولهم له.

٣- في جميع الأحاديث كان صلى الله عليه وسلم ينقلهم من المفهوم الخطأ إلى المفهوم الصحيح بأسلوبه صلى الله عليه وسلم المفعم بالبيان القائم على التناسب بين جوابهم القائم على العادة والعرف، وجوابه صلى الله عليه وسلم القائم على ما يناقض مفهومهم، وهذا التناسب بني في جميع شواهده على علاقة المقابلة القائمة على التضاد.

٤- بروز السمت الرئيس في بيانه صلى الله عليه وسلم عند تغيير المفاهيم في اعتماد الحجاج القائم على الإقناع والإمتاع معًا؛ حتى يجمع لهم بين تثقيف القلوب وإقناع العقول.

٥- بروز المفارقة بين التلطف في الأحاديث الثلاثة الأول مع المخاطبين، والتشدد في الحديث الرابع مع المخاطب، لوقوع المخالفة منه تعمدًا لها.

التوصيات:

- يوصي البحث بتتبع أساليب تغيير المفاهيم المختلفة في البيان النبوي سواء مفاهيم عقدية أو غيرها ثم موازنتها بأساليب البيان القرآني لتغيير تلك المفاهيم؛ لإبراز التكاملية في البيانين .
- كذلك يوصي البحث بتتبع العلاقات في الحوار النبوي واستنطاقها في دنيا الناس لتربية الذوق من خلالها.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الأدب وفنونه – دراسة ونقد . المؤلف: عز الدين إسماعيل (ت ١٤٢٨هـ) ـ الناشر: دار الفكر العربي.

٣. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت ٩٢٣هـ) . الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ـ الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٤. أسرار البلاغة ـ المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ) ـ قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر . الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٥. الأسلوب المؤلف: أحمد الشايب الناشر: مكتبة النهضة المصرية الطبعة: الثانية عشرة.

٦. الإفصاح عن معاني الصحاح . المؤلف: يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (ت ٥٦٠هـ) . المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد ـ الناشر: دار الوطن ـ سنة النشر: ١٤١٧هـ.

٧. أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين ـ المؤلف: محمد بن محمد العواجي ـ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٨. الإيضاح في علوم البلاغة ـ المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) . المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي . الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.

٩.بذل المجهود في حل سنن أبي داود . المؤلف: الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (ت ١٣٤٦هـ) . اعتني به وعلق عليه: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي . الناشر: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند . الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.

١٠.البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي المتوفى سنة (٧٩٤ هـ) . علق عليه مصطفى عبد القادر عطا . دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤ م.

١١.البيان والتبيين . المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) . الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: ١٤٢٣هـ.

١٢.تاج العروس من جواهر القاموس . المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي . تحقيق: جماعة من المختصين . من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت . النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١م).

١٣.تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ت ١٣٥٣ هـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤.الجامع الصحيح للسيرة النبوية . المؤلف: الأستاذ الدكتور سعد المرصفي . الناشر: مكتبة ابن كثير، الكويت . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٥.حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث . ص ٩٩-١٠٠تأليف الدكتور : عبد الله بن محمد العجلان الرياض ١٣٠٩هـ . ١٩٨٩م . الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٦.خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني . المؤلف: محمد محمد

أبو موسى . الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: السابعة.

١٧.الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياته . المؤلف: دكتور رؤوف شلبي . الناشر: دار القلم . الطبعة: الثالثة.

١٨.دلائل الإعجاز في علم المعاني . المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) . المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر . الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة . الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

١٩.دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين . المؤلف: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي ت ١٠٥٧هـ ـ اعتنى بها: خليل مأمون شيحا . الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان . الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٢٠.سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ) . تحقيق أحمد محمد شاكر جـ ١، ٢ . ومحمد فؤاد عبد الباقي جـ ٣ . وإبراهيم عطوة عوض جـ ٤، ٥ . الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر . الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٢١.السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ مُحَاوَلَةٌ لِتَطبِيْقِ قَوَاعِدِ المُحَدِّثِيْنَ فِيْ نَقْدِ رِوَايَاتِ السِّيْرَةِ النَّبَويَّةِ . المؤلف: د. أكرم ضياء العمري ـ الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة . الطبعة: السادسة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

٢٢.شرح رياض الصالحين . المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) . الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض . الطبعة: ١٤٢٦هـ.

٢٣.شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى «المؤلف: محمد الأمين بن عبد الله بن

يوسف بن حسن الأُرمي العَلَوي الأثيوبي الهَرَري الكري البُوَيطي . مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي . الناشر: دار المنهاج، المملكة العربية السعودية – جدة . الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

٢٤.شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها . مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمد علي مهدي – مكة المكرمة الناشر: دار المنهاج – دار طوق النجاة . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٢٥.شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم . المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ) . المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل . الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر . الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٢٦.شروح التلخيص وهو مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي وقد وضع بالهامش كتاب الإيضاح لمؤلف التلخيص، وحاشية الدسوقي على شرح السعد . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٢٧.الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء . المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ) . الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ) . الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . عام النشر: ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

٢٨.صحيح البخاري . المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي . المحقق: د. مصطفى ديب البغى . الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) دمشق . الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٩.صحيح مسلم ـ المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المحقق: أحمد بن رفعت بن عثمان حلمي القره حصاري - محمد عزت بن عثمان الزعفران بوليوي - أبو نعمة الله محمد شكري بن حسن الأنقروي . الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا . عام النشر: ١٣٣٤هـ.

٣٠.عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح . المؤلف: أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣هـ) . المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي . الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٣١.عيار الشعر . المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢هـ) . المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع . كلية الآداب جامعة الملك سعود .دارالعلوم للطباعة والنشر ١٤٠٥-١٩٨٥م-الرياض-المملكة العربية السعودية.

٣٢.فتح الرحمن في تفسير القرآن . المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (ت ٩٢٧هـ) . اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب . الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإسلَامِيّةِ) . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٣٣.فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦هـ) . المؤلف: أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠هـ) . قدم له: فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيم وتحقيق وتخريج: أ.

د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم ـ الناشر: المُحقِّق ـ الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م مكتبة دار السلام، الرياض – المملكة العربية السعودية.

٣٤.فتح المنعم شرح صحيح مسلم ـ المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ـ الناشر: دار الشروق ـ الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٣٥.قراءة في الأدب القديم ـ د/ محمد محمد أبو موسى ـ ط٣ ـ مكتبة وهبة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٣٦.قضايا الشعر المعاصر ـ تأليف: نازك صادق الملائكة (ت: ١٤٢٨هـ) الناشر: دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ـ الطبعة: الخامسة.

٣٧.الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري ـ المؤلف: أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي المتوفى ٨٩٣ هـ ـ المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية ـ الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٣٨.كوثَر المَعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيح البُخَاري المؤلف: محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ـ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٣٩.الكوكب الدري على جامع الترمذي ـ المؤلف: رشيد أحمد الكنكوهي (ت ١٣٢٣هـ) ـ جمعها ورتبها: محمد يحيى بن محمد إسماعيل الكاندهلوي ت ١٣٣٤هـ ـ المحقق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي ـ الناشر: مطبعة ندوة العلماء الهند ـ عام النشر: ١٣٩٥هـ.

٤٠.لسان العرب ـ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ـ الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ـ الناشر: دار صادر ـ بيروت ـ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٤١.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) . المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة . الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة.

٤٢.المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري . المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت ٩٥٦هـ) . حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٣.المجتمع والأسرة في الإسلام . المؤلف: محمد طاهر الجوابي . الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع . الطبعة: الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٤.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . المؤلف علي بن سلطان محد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ت ١٠١٤هـ . الناشر : دار الفكر بيروت . لبنان - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢.

٤٥.مصابيح الجامع . المؤلف: محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (ت ٨٢٧ هـ) اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب ـ الناشر: دار النوادر، سوريا . الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٦.معجم اللغة العربية المعاصرة . المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل . الناشر: عالم الكتب . الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤٧.مفتاح العلوم . المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) . ضبطه وكتب هوامشه وعلق

عليه: نعيم زرزور . الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان . الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٤٨.المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم . المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ – ٦٥٦) . حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال . الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق . بيروت . الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٩.مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكرعام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٠.منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري . المؤلف: حمزة محمد قاسم . راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ـ عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون . الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية . عام النشر: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٥١.منة المنعم في شرح صحيح مسلم . المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١هـ) . الشارح: فضيلة الشيخ/ صفي الرحمن المباركفوري . الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية . الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٥٢.منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري» . المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي (ت ٩٢٦هـ) . اعتنى بتحقيقه والتعليق عليه: سليمان بن دريع العازمي . الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض . المملكة العربية السعودية ـ

الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٣.منهاج البلغاء وسراج الأدباء لأبي حازم القرطاجني توفى (٦٨٤هـ) . تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة . دار الغرب الإسلامي . بيروت . لبنان.

٥٤.المنهل الحديث في شرح الحديث ـ المؤلف: الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين . الناشر: دار المدار الإسلامي . الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م.

٥٥.وحي الرسالة فصول في الأدب والنقد والسياسة والاجتماع والقصص. المؤلف أحمد حسن الزيات – الطبعة الخامسة ١٣٨٤-١٩٦٤-ملتزم الطبع والنشر مكتبة نهضة مصر ب الفجالة – مطبعة الرسالة